
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
عمالقة ماركيليا
٧٧

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـــ الانتقام ..

« هل تعرف هذا الشاب ؟.. » ..

دوّى السؤال فى رأس (أدهم صبرى) وقلبه ، وهو يجلس فى مطار (مونت كارلو) ، أمام جثة زميله النقيب (سمير) ، الذى لقىَ حتفه برصاصة غادرة فى ظهره ، وشعر (أدهم) مع السؤال بغصّة فى حلقه ، وقاوم فى شدّة دمعة حزينة ، جاهدت عبثًا للانحدار من عينيه ، ثم لم تلبث أن استكانت داخل أجفانه مُنهكة ، مستسلمة ، واكتفت بأن منحت عينيه بريقًا والتماعًا ، وهو يديرهما إلى ضابط الأمن ، الذى ألقى عليه هذا السؤال ، ويتطلّع إليه فى صمت ..

وتدفّق نهر الذكريات فى رأسه ..

لقد كان يعمل فى الإدارة ، بعد إصابة ساقه ، وكان يُعانى عرجًا شديدًا ، بسبب ذلك الالتهاب ، الذى أصاب عظام الساق ، ثم أتته برقيّة ، تنبئه بأن شقيقه الوحيد ، الدكتور (أحمد صبرى) ، قد أصيب بكسر فى ساقه ، عندما ذهب إلى (مارسيليا) ، ليلقى محاضرة فى جامعتها ..

وسافر (أدهم) إلى (مارسيليا) ، ليزور شقيقه ..

وهناك بدأت سلسلة من محاولات قتله ، والتخلّص منه ..

لم يكن يدرى مَنْ وراء ذلك ..
لم يكن يعلم ـــ حتى هذه اللحظة ـــ أن عدوّته اللّدود ، (سونيا جراهام) ، هى التى تدير كل هذا ، عن طريق عمالقة الإجرام فى (مارسيليا) ، (فنتورا) ، و(بلومبه) ، و(مورو) ..
لم يكن يعلم أنها ، وبعد أن نبذها (الموساد) من صفوفه(*) ، قد اتخذت لحياتها كلها هدفًا واحدًا ..
القضاء عليه ..
وفى هذه المرّة ، كانت قد أقنعت منظمة (سكوربيون) ، التى هزمها (أدهم) من قبل(**) ، بتمويل مشروع القضاء عليه ، بواسطة عمالقة (مارسيليا) الثلاثة ، ودفع مبلغ عشرة ملايين دولار مقابل ذلك ..
وبمعجزة إلٰهية ، وإرادة بشريّة رائعة ، وبتدخّل النقيب (سمير) فى الوقت المناسب ، نجح (أدهم) وشقيقه فى الفرار من فخّ ، أعدّه له رجال العصابات الثلاثة ، وانطلق مع شقيقه وزميله ، فى محاولة لبلوغ (مونت كارلو) ..

(*) راجع قصة (مهمّة خاصة) .. المغامرة رقم (٥٠) .
(**) راجع قصتى (أرض الأهوال) ، (انتقام العقرب) .. المغامرتين رقم (١٣) و(١٧) .

وكانت مطاردة عنيفة رهيبة ..
مطاردة أدارها العمالقة الثلاثة ، وقاتل فيها أبطالنا الثلاثة بكل قواهم ..
وبعد أن تحطّمت ثلاث سيّارات ، وطائرتا هليوكوبتر ، وفقدت سيّارة (أدهم) سقفها ، نجح الثلاثة فى بلوغ مطار (مونت كارلو) ..
وهناك انقلب كل شىء ..
لقد اختطف رجال عصابات (مارسيليا) الدكتور (أحمد) ، شقيق (أدهم) ، وعادوا به فى طائرة خاصّة إلى (مارسيليا) ، ولقى (سمير) مصرعه غدرًا ، عندما أطلق عليه رجل أمن خائن رصاصة فى ظهره ..
وبقى (أدهم) وحيدًا ، عاجزًا ، يجترّ حزنه ومرارته ..
ولكن المعركة لم تنته ..
لم تنته بعدُ(*) .
« هل تعرف هذا الشاب ؟.. » ..
كرّر رجل الأمن سؤاله فى صرامة ، فأجابه (أدهم) فى خفوت حزين :

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأوّل (النمر الأسْود) .. المغامرة رقم (٧٦) .

ـــ نعم .. أعرفه ..

ثم أدار عينيه إلى جثة (سمير) ، مستطردًا في مرارة :

ـــ كان زميلي .

عقد رجل الأمن حاجبيه ، وهو يقول في اهتمام :

ـــ زميلك ؟!.. أي عمل تزاولان ؟

أجابه (أدهم) :

ـــ إننا رجلا أعمال ، وشريكان في مشروع واحد .

تطلّع إليه الرّجل في شكّ ، وقال :

ـــ قُل لي إذن يا مسيو (أدهم) ، ما صلة الأعمال بالعصابات .

قال (أدهم) في صرامة :

ـــ سَلْ رجال العصابات .

ازداد انعقاد حاجبي رجل الأمن ، وهو يقول في غِلظة :

ـــ اسمع يا مسيو (أدهم) .. إنها ليست لُعبة ، ولسنا نمزح هنا .. لقد جرى تبادل إطلاق نيران داخل المطار ، ولقي ثلاثة رجال مصرعهم ، منهم رجل أعمال فرنسي ، وزميلك ، وأحد ضباط أمن المطار ، ولقد كان زميلك يحمل مسدسًا ، من ذلك النوع الذي يستخدمه الإرهابيون ، والمصنوع بأكمله

من البلاستيك ، بحيث تعجز أجهزة كشف المعادن عن العثور عليه ، ولقد كنت أنت أيضًا تحمل مسدسًا مماثلًا ، وهذا يعني أن الأمر أخطر من أن نواجهه بالتقاعس ، أو السُّخرية ، أو .....

قاطعه (أدهم) في حِدّة :

ـــ لماذا تجاهلت أمر اختطاف شقيقي ، على متن طائرة خاصة ، من قائمة الأعمال المخالفة للقانون ، التي جرت هنا ؟

عقد رجل الأمن حاجبيه مرّة أخرى ، وهو يقول :

ـــ لأن هذا لم يثبت بعدُ .. فإنّ أحدًا من روّاد المطار ، لم يشهد بحدوث أيّة بادرة عنف ، إلّا عندما قفز زميلك فوق الحاجز ، وراح يطلق النار كالمجنون ، ثم لحقت أنت به ..

قال (أدهم) في توتّر :

ـــ ولكنني لم أطلق رصاصة واحدة .

غمغم رجل الأمن :

ـــ هذا صحيح ، ولكن .....

قاطعه (أدهم) في حدّة :

ـــ كما أنني كنت أنوي تسليم مسدسي ، قبل دخول الطائرة ، والقانون لا يمنع حمل مسدس مرخص ، داخل أرض المطار ، ثم إنني أحمل رخصة سلاح دولية ، و .....

قاطعه رجل الأمن هذه المرّة ، وهو يقول :

ـــ ماذا تريد بالضبط يا مسيو (أدهم) ؟

عقد (أدهم) حاجبيه ، وبدت لهجته لرجل الأمن مخيفة ، حتى أنها أصابته برجفة قويّة عندما قال (أدهم) :

ـــ العودة إلى (مارسيليا) .

مرّت لحظة من الصمت ، قبل أن يزدرد رجل الأمن لعابه ، ويغمغم فى دهشة :

ـــ إلى (مارسيليا) ؟!.. ولكنك قلت إنك قد أتيت من هناك ، وإنك وزميلك ، وشقيقك المزعوم ، كنتم تزعمون ركوب طائرة (القاهرة) ، و .....

مرّة أخرى قاطعه (أدهم) ، قائلًا بنفس اللهجة المخيفة :

ـــ الآن صار هناك دين لابُد من تصفيته ، فى (مارسيليا) .

ومرّة أخرى ازدرد رجل الأمن لعابه فى توتُّر ، وخامره شعور بالرغبة فى الفرار ، من أمام ذلك الرجل ، الذى تُجمِّد لهجته الدم فى العروق ، وتمتم :

ـــ يمكنك أن تذهب .

ثم عاوده إحساسه بالواجب ، فاستدرك فى صرامة :

ـــ ولكننى سأحتفظ بجواز سفرك ، لحين عودتك .

نهض (أدهم) ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ إنه لك .

ثم ألقى نظرة أخيرة على جثة (سمير) ، وغمغم :

ـــ نَمْ هنيئًا يا صديقى .. سيثأر (أدهم) لك .

وبعرج واضح ، اتجه نحو تلك السيّارة الصغيرة ، ذات السقف المكسور ، وأدار محرّكها ، وانطلق عائدًا إلى (مارسيليا) ..

إلى أرض عمالقة الإجرام ..

* * *

عقدت (سونيا جراهام) ساعديها أمام صدرها ، ووقفت أمام نافذة جناحها بالفندق الفاخر ، المطلّ على شاطئ (مارسيليا) ، تتطلعُ إلى غروب الشمس ، على حين جلس (شارل) ، مندوب (سكوربيون) خلفها ، يصبُّ لنفسه كأسًا من الخمر ، وهو يبتسم فى دهاء ، قائلًا :

ـــ ما الذى يُقلقك هكذا يا عزيزتى (سونيا) ؟

تنهّدت فى عُمْق ، وغمغمت :

ـــ لست أدرى .

وعادت تتطلّع لحظات إلى الغروب فى صمت ، قبل أن تستطرد فى توتّر :

ـ ظاهريًا ، كل شىء يسير على ما يرام .. لقد قتلوا زميل (أدهم) الشاب ، واعتقلوا أخاه ، وطبيعة (أدهم) ستدفعه دفعًا إلى العودة ، على الرغم من إصابة ساقه ، وفقده للياقته الطبيعية الفائقة ، وسيكون رجال (فنتورا) و(بلومبه) و(موروا) فى انتظاره .. كل العوامل تؤكّد أن نهاية (أدهم صبرى) قد باتت وشيكة .. ولكن ......

بترت عبارتها لحظات ، فغمغم (شارل) ، يستحثها على المواصلة ، وهو يرتشف الخمر من كأسه :

ـ ولكن ماذا ؟

مرّة أخرى تنهّدت ، وهزّت رأسها مغمغمة :

ـ لست أدرى .. شىء ما فى أعماق ، يقول إننا لن نربح هذه المعركة .

عقد حاجبيه فى شدّة ، وهو يهتف فى استنكار :

ـ لن نربحها ؟!.. أىّ قول هذا ؟!.. إن كل شىء يسير على ما يرام ، باعترافك أنت ، فلِمَ لا نربحها ؟!

مطّت شفتيها الجميلتين ، مغمغمة :

ـ إنه مجرّد شعور .

ظلّ عاقدًا حاجبيه لحظات ، ثم لم يلبث أن ابتسم ، ونهض يحيط كتفها بذراعه ، ويتطلّع إلى عينيها الفاتنتين ، قائلًا :

ـ بل هو القلق يا عزيزتى (سونيا) ، ولكن اطمئنّى .. لقد غادر (أدهم) (مونت كارلو) منذ خمس ساعات ، وهو فى طريقه إلى هنا ، ورجال هؤلاء الحمقى الثلاثة ينتظرونه .. لقد انتهى يا عزيزتى .. انتهى (أدهم صبرى) إلى الأبد ..

* * *



٢ ـ الذئب الأعرج ..

هناك ثلاثة مداخل لـ (مارسيليا) ..

طريقان بريّان ، والبحر ..

ولقد حرص عمالقة (مارسيليا) الثلاثة على تأمين تلك المداخل ، لاقتناص (أدهم صبرى) ، فور وصوله إلى المدينة ..

واختصّ (فنتورا) بالبحر ..

أمّا (موروا) فقد عمل رجاله على تأمين الطريق الشمالى ..

وتخصّص رجال (بلوميه) فى الطريق الجنوبى ..

وكان رجال (موروا) أوّل من علم بوصول (أدهم) ..

لقد أبلغهم عميل لهم ، فى نقطة شرطة الطريق ، بأن تلك السيّارة الصغيرة ، ذات السقف المكسور ، قد تجاوزته منذ لحظات ، وأنها ستصل إلى (مارسيليا) بعد عشر دقائق فحسب ، فهتف قائد الرجال (ديلون) :

ـ استعدّوا يا رجال .. سنثأر من ذلك المصرى ، الذى قتل رفاقنا ، ونجح فى خداعنا ، والفرار بشقيقه من المستشفى ..

جذب كل من الرجال السبعة إبرة مدفعه الرشاش فى شراسة ، ووقفوا ينتظرون وصول السيّارة الصغيرة فى تحفّز ..

ولكن الدقائق العشر مضت ..

وبعدها عشر أخرى ..

وأخرى ..

وأخرى ..

وهتف (ديلون) فى حنق :

ـ هناك أمر ما يا رفاق .. يبدو أن هذا الرجل يخدعنا على نحو ما .

ثم قفز داخل سيّارته ، وهتف بثلاثة من الرجال :

ـ هلمّ بنا .. سنواجهه فى الطريق .. ولينتظره الآخرون هنا .

انطلق بالسيّارة ، مع القتلة الأربعة ، وهو يعضّ شفتيه غيظًا ووحشية ، حتى لمح السيّارة الصغيرة على جانب الطريق ، فضغط كمّاحة سيّارته فى قوّة ، وهو يهتف :

ـ ها هو ذا .

شهر الثلاثة مدافعهم الآلية ، وانتزع (ديلون) مدفعه ، وهو يوقف سيّارته ، إلى جوار السيّارة الصغيرة تمامًا ، وقفز الأربعة فى سيّارتهم ، وانقضّوا على السيّارة الصغيرة ، و .....

وانعقدت حواجبهم فى توتّر وشك ..

وهتف (ديلون) فى عصبيّة :

ـ السيّارة خالية !!.. أين هو ؟

هتف أحد الرجال فى قلق :

ـ هناك صفير خافت ، أسفل مقعد القيادة .

سأله (ديلون) فى توتُّر :

ـ صفير ماذا ؟

ارتبك الرجل ، واحتقن وجهه ، وهو يهتف :

ـ إنه يبدو شبيهًا بـ ... بقنبلة .

هتف (ديلون) فى ذُعْر :

ـ قنبلة ؟

ثم قفز إلى الخلف ، صارخًا :

ـ تراجعوا يا رجال .. قبل أن .....

ولم يتم عبارته ؛ لأن القنبلة قد انفجرت ..

كانت قنبلة دُخان ، انفجرت فى وجوه القتلة الأربعة ، فجفَّت حلوقهم ، والتهبت جفونهم ، وراحوا يَسْعُلون فى قوّة ، ويتراجعون فى توتُّر غير منظَّم ..

وفجأة ، هوَت قبضة فولاذية على فكّ أحدهم ، فحطَّمته ، وهوَت أخرى على أنف الثانى ، فهشَّمته ..

وهتف (ديلون) ، وهو يَعْجِز عن رؤية مَنْ حوله :

ـ ماذا يحدث هنا ؟

تناهى إلى مسامعه صوت أسنان القاتل الثالث ، وهى تتكسر ، فشهر مدفعه الآلىّ ، وصرخ :

ـ أيها الشيطان ..

وراح يطلق النيران فى جُنُون وذُعر ، وهو يتراجع بلا هدف ، فاقِد الرؤية ، والدموع تغطِّى عينيه ، وتسيل على أجفانه الملتهبة ..

وفجأة ، سمع صوتًا ساخرًا من خلفه ، يقول :

ـ إلى أين يا صديقى ؟

استدار فى سرعة كبيرة إلى مصدر الصوت ، وهو يصرخ :

ـ ابتعِدْ أيها الشيطان .. ابتـ .....

وهذه المرَّة بتر عبارته برغم أنفه ..

أو بمعنى أدقّ .. بقايا أنفه ..

فلقد هوَت على أنفه لكمة كالقنبلة ، أحالته إلى كُومَة من اللحم المَفْرِىّ ..

وإلى مزيج من الدماء والعظام المهشَّمة ..

وعلى الرغم منه ، سقط مدفعه أرضًا ، ورفع كفَّيْه يخفى وجهه ، صارخًا :

ـ أيُّها الوغد ..



وفجأة ، سمع صوتًا ساخرًا من خلفه ، يقول :

ـــ إلى أين يا صديقى ؟

وهنا ارتطمت صاعقة بكتفيه ، وضربتهما بوجهه ، فتهاوى أرضًا ..

وقبل أن يسقط ، أمسكت به قبضتان فولاذيّتان ، وسمع صوتًا وهيبًا مخيفًا يقول :

ـــ لدىّ عِدّة أسئلة ، تحتاج إلى أجوبة شافية ، أيها الوغد .

قاوم (ديلون) دموعه الغزيرة ، وهو يهتف :

ـــ لن تحصل منّى على جواب واحد ، ولن .....

قنبلة تفجّرت فى أسنانه ، منعته من الاستطراد ، وأسنان محطّمة ، ممزوجة بطعم الدم فى حلقه ، جعلت عينيه تدوران فى محجريهما ، قبل أن يرتفع الصوت الصارم مرّة أخرى ، قائلًا :

ـــ ستجيب أيها الوغد .. أليس كذلك ؟

ثم أعقب ذلك انفجار فى معدته ، وآخر فى فكّه ، فهتف بصوت مختنق :

ـــ سأجيب .. سأجيب عن كل أسئلتك بحقّ الشيطان .

كان الألم يدفعه دفعًا إلى الاستسلام ، دون قيد أو شرط ، ولقد سمع ذلك الصوت الصارم ، صاحب تلك اللهجة المخيفة ، يقول :

ـ مَنْ وراء محاولة اغتيالى ؟
أجابه (ديلون) ، وهو يحاول منع الدم المتدفّق من أنفه وفمه :
ـ زعماء (مارسيليا) الثلاثة .. (فنتورا) و(بلومبه) ، و(موروا) .
هتف الصوت فى قوّة :
ـ ولماذا يسعَوْن خلفى ؟
هزَّ (ديلون) رأسه سلبًا فى قوّة ، وهو يهتف :
ـ لست أدرى .. هناك امرأة دفعتهم إلى ذلك .
عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم :
ـ امرأة ؟!..
ثم سأله فى صرامة :
ـ أهى جميلة ؟
أجابه (ديلون) منهاراً :
ـ بل هى فاتنة .
ازداد انعقاد حاجبَىْ (أدهم) ، وهو يغمغم فى غضب :
ـ (سونيا جراهام) .
هتف (ديلون) :

ـ نعم .. نعم .. لقد سمعت مسيو (موروا) يخاطبها بهذا الاسم .
جذبه (أدهم) إليه من عنقه فى عنف ، وسأله فى صرامة :
ـ وأين أخى ؟
أجابه (ديلون) بصوت أقرب إلى البكاء :
ـ لست أدرى .. لقد أحضروه إلى هنا ، ولكننى أجهل مَنْ منهم يحتفظ به . ثم رفع ساعديه ، يخفى بهما وجهه ، هاتفًا فى ذُعر :
ـ أقسم لك .
قال (أدهم) فى حِدّة :
ـ حسنًا أيها الوغد .. سألقى إليك رسالة شفهيّة ، عليك أن تنقلها كما هى لزعيمك .
ومال نحوه ، مستطردًا فى صرامة مخيفة :
ـ قُلْ له إن (أدهم صبرى) قد عاد ، وإنه لن يغفر له ، لو مسَّ شعرة واحدة من رأس شقيقه .
كانت الرؤيا قد عادت إلى عينى (ديلون) مشوَّشة ، فحدّق فى عينى (أدهم) فى رُعب ، قبل أن يهتف :
ـ سأبلغه .. سأبلغه .

تركه (أدهم) يسقط أرضًا ، ورآه (ديلون) ينحنى ، ويلتقط مِدفعه الرشاش ، ثم يتجه إلى سيَّارتهم ، التى أتوا بها ..

واتسعت عينا (ديلون) فى دهشة وذُعر ..

لقد انتبه الآن ..

الآن فقط ..

انتبه إلى أن ذلك الرجل ، الذى حطَّم فمه وأسنانه ، والذى هزمه مع ثلاثة من أشرس القتلة ، أعْرَج ..

أعرج فى شِدَّة ..

* * *

توتَّر أحد رجال (ديلون) ، وهو يتطلَّع إلى ساعته ، مغمغمًا فى عصبيَّة :

ـ لقد تأخر (ديلون) والرجال كثيرًا .. المفروض أن المسافة لا تستغرق أكثر من عشر دقائق .

هتف رجل آخر ، وهو يشير إلى الطريق :

ـ ها هى ذى سيارتنا .

اتجهت عيون الرجال الأربعة إلى السيَّارة ، التى اندفعت نحوهم فى سرعة ، وغمغم أحدهم فى قلق :

ـ لماذا ينطلق (ديلون) بهذه السرعة ، كما لو كان .....؟

لم يتم عبارته ، لأنهم قد تبيَّنوا وجه السائق بغتة ، وأدركوا أنه ليس (ديلون) ..

وبسرعة ارتفعت فُوَّهات مدافعهم الآلية ..

وبسرعة أيضًا ، انهالت الرصاصات على السيَّارة ..

وعلى الرغم من سيل الرصاصات ، واصل (أدهم) اندفاعه بالسيَّارة ، ورأى أدخنة كثيفة تتصاعد من المحرِّك ، ولطم أحد رجال (ديلون) بمقدِّمة السيَّارة ، فأطاح به بعيدًا ، ونفض عن جسده بقايا الزجاج المهشَّم ، وأمسك بمدفع (ديلون) الرشَّاش بيسراه ، وراح يطلق النيران ..

ولم يكد يبتعد عن الرجال الثلاثة الباقين ، بما لا يزيد على مائتى متر ، حتى أطلق محرِّك السيَّارة زمجرة عنيفة ، واشتعلت فيه النيران ..

وغادر (أدهم) السيَّارة فى صعوبة ، وراح يجرُّ خلفه ساقه المصابة ، التى التهبت فى شِدَّة ، وشعر أن التهابها يتصاعد إلى رأسه ، ويديرها فى عنف ، وهو يستدير لمواجهة الرجال الثلاثة ، ويمطرهم برصاصات مدفعه ..

وسقط رجل ..

وسقط آخر ..

وانطلقت رصاصات الثالث ، تطيح بمدفع (أدهم) الآلى ..

وتراجع (أدهم) فى صعوبة ، وراح يجرُّ ساقه إلى منحنى قريب ، قبل أن يبلغه ذلك القاتل .

وعبَرَ زُقاقًا ضيِّقًا ، و .....

وفجأة ، وجد نفسه وسط ساحة ضخمة ، تطلُّ عليها أبواب عشرات المنازل القديمة ..

وكان وقع أقدام القاتل يقترب فى سرعة ..

وكمحاولة أخيرة ، طرق (أدهم) باب أقرب المنازل إليه ، وشعر بأحدهم يفتح الباب ، ودارت رأسه فى شدة ..

واقترب وقع الأقدام ..

وأظلمت الدنيا ..

وسقط (رجل المستحيل) فاقد الوَعْي ..

سقط أعزل عاجزًا ..

وكانت لعبة من ألعاب القدر ..

* * *



٣ ــ الرجل الخفِىّ ..

عَبَرَ آخر رجال (ديلون) ذلك الزُّقاق الضيِّق ، وهو يجذب إبرة مدفعه الرشاش ، ويهتف فى وحشية وشراسة :

ــ لقد وقعت أيها الشيطان المصرى .. لقد ظفر بك (بيير) ..

وفجأة ، بتر عبارته ، واتسعت عيناه فى دهشة ، عندما بلغ الساحة ..

كانت الساحة خالية ، صامتة ، ساكنة ..

أبواب كل المنازل كانت مغلقة ..

ولا أثر لـ (أدهم) ..

واتسعت عينا الرجل ، وهو يديرهما فى المكان ، قبل أن يعقد حاجبيه ، هاتفًا فى سُخط :

ــ اللعنة !!

ثم انتزع من جيبه جهازًا لاسلكيًا صغيرًا ، وهتف فى توتُّر :

ــ هنا (بيير) .. لقد نجح ذلك الشيطان المصرىّ فى دخول المدينة .. لقد هزم الجميع .. أنا الوحيد الباقى .. لقد حاصرته داخل ساحة الصيادين .. أريد إمدادات .. وبسرعة ..

* * *

حمل رجال (موروا) مدافعهم الآلية ، وهم يديرون عيونهم في الساحة الخالية ، ثم سأل زعيمهم (بيير) في حذر :

— أأنت واثق من أنه قد اختفى هنا ؟

أجابه (بيير) في حزم :

— تمام الثقة .

عقد الرجل حاجبيه ، وقال في عصبيّة :

— أين ذهب إذن ؟

أجابه (بيير) :

— لقد كان يجرُّ ساقه خلفه في صعوبة ، ولن يمكنه الابتعاد كثيرًا ، أو تسلُّق الجدران .. أراهنك أنه يختفي ، داخل أحد هذه المنازل الصغيرة .

هتف الرجل في صرامة :

— سنقلبها كلها رأسًا على عقب إذن .

ثم أشار إلى رجاله ، هاتفًا :

— هلمُّوا يا رجال ..

اندفع الرجال نحو المنازل الآمنة ، وراحوا يطرُقون أبوابها في عنف وخشونة ، ويقتحمونها في غِلظة ، غير مبالين بصُراخ النساء ، وبكاء الأطفال ، وشحوب وجوه الرجال والشيوخ ..

فتشوا كل ركن ، وكل جدار ..

وكان من نصيب (بيير) منزل صغير ، يجاور مدخل الساحة تمامًا ، لم يكد يطرق بابه ، حتى انفتح ، وأطلَّ منه وجه عجوز ، تجاوزت حتمًا السبعين من عمرها ، وإن شفَّ بريق عينيها عن حيويّة شابّة ، وهي تقول :

— ماذا تريد يا (بيير لاشو) ؟

ازدرد (بيير) لعابه في صعوبة ..

لقد كان يعرف تلك العجوز منذ طفولته ..

وكان يرهبها كباقي الأطفال ..

صحيح أنها لم تؤذ أحدهم يومًا ، ولكنها لم تكن تبتسم أبدًا ..

وكان أهل (مارسيليا) كلها يقولون إنها ساحرة ..

بريق عينيها كان يقول ذلك ..

وفي صعوبة ، غمغم (بيير) :

— إننا نبحث عن رجل يا (جوزي) .

تضاعف بريق عينيها ، وهي تقول :

— رجل ؟!.. أي رجل هذا يا (بيير) ؟

ازدرد لعابه مرّة أخرى ، وغمغم في توتُّر :

ــ رجل هرب منّا ، واختفى هنا يا (جوزى) .
عقدت حاجبيها فى صرامة ، وهى تقول :
ــ لست أخفى مجرمين هنا يا (بيير) .
غمغم مضطربًا :
ــ بالطبع يا (جوزى) .. بالطبع .
فوجئ بزعيم الرجال يدفعه جانبًا ، وهو يقول فى خشونة :
ــ أما زلت تخشى تلك المأفونة ؟.. لابدّ من تفتيش منزلها .. لا استثناءات .
حدّقت فى عينيه ، بعينيها اللامعتين ، وهى تقول :
ــ أحقًّا يا (مشيل) ؟
كان يكرهها تمامًا ، إلّا أن نظراتها جعلته يرتجف ، وهو يغمغم :
ــ لا يمكننا أن نستثنى أى مخلوق يا (جوزى) .
عادت تغمغم فى هدوء مخيف :
ــ أحقًّا ؟!.. أتتهمنى بالكذب يا (ميشيل دى فال) ؟
وجد نفسه يزدرد لُعابه فى صُعوبة ، وهو يغمغم فى تخاذُل :
ــ (جوزى) .. أنت تعرفين أوامر مسيو (مورو) .
ابتسمت فى هدوء ، ثم أفسحت الطريق ، وهى تقول :



وكان أهل (مارسيليا) كلها يقولون إنها ساحرة .. بريق عينيها كان يقول ذلك ..

ـــ لا بأس يا (ميشيل) .. لن يضيرنى أن تفتش منزلى ، فلست أخفى المجرمين أبدًا .

لم يكن منزلها يحتاج إلى الكثير من الوقت لتفتيشه ، وقلبه رأسًا على عقب ، فقد كان يتكوّن من رَدْهة ، وحجرة واحدة ..

وكانتا خاليتين ..

خاليتين تمامًا ..

* * *

ضرب (موروا) سطح مكتبه بقبضته فى غضب ، وهو يهتف مُختنقًا :

ـــ أين ذهب ذلك الشيطان إذن ؟.. هل اختفى ؟.

هزّ (بيير) و(ميشيل) أكتافهما فى حَيْرة ، وغمغم الثانى :

ـــ لست أدرى أين ذهب حقًا يا مسيو (موروا) .. لقد اختفى تمامًا .. إن (بيير) يؤكّد أنه لم يغادر مكانه ، منذ اختفى ذلك الشيطان داخل الساحة ، ولا يوجد مخرج آخر لها ، ولقد قمنا بتفتيش كل المنازل ، و كل الأسطح ، ولم نعثر له على أدنى أثر .

لوّح بذراعيه الطويلتين فى غضب ، هاتفًا :

ـــ إذن فهو الرجل الخفىّ .

تمتم (ديلون) ، الذى يجلس فى أحد الأركان ، وقد أحاط أنفه وفكّه بالضمادات الكثيفة :

ـــ إنه لقادر على إتيان أى عمل خارق .. إنه شيطان .. شيطان حقيقى .

التفت إليه (موروا) فى حِدّة ، وهتف فى غضب :

ـــ هل أرهبك إلى هذا الحدّ ؟

عقد (ديلون) حاجبيه ، وقال معترضًا :

ـــ صدّقنى يا مسيو (موروا) .. إنه ....

قاطعه (موروا) غاضبًا :

ـــ إنه مجرّد رجل عادىّ .. رجل محظوظ فحسب .

رمقه (ديلون) بنظرة مستنكرة ، وهو يغمغم :

ـــ محظوظ ؟!

هتف (موروا) :

ـــ نعم .. محظوظ ..

صمت لحظة ، ثم استدرك :

ـــ ويجيد بعض المهارات .

ثم عاد يهتف ساخطًا :

ـــ ولكن المهم هو أين ذهب ؟

غمغم (ديلون) فى مرارة :

ـــ اطمئنّ يا مسيو (موروا) .. هذا الرجل ليس من ذلك الطراز ، الذى يدعك تبحث عنه طويلًا ، وما دمتم تحتجزون شقيقه فهو سيظهر .

وعقد حاجبيه فى توتر ، وهو يستطرد :

ـــ سيظهر حتمًا .

* * *

وقفت العجوز (جوزى) ، تتطلّع إلى رجال (موروا) ، ومدافعهم الرشاشة ، فى هدوء ولا مبالاة ، وعيناها تشعّان بذلك البريق المخيف ، حتى انتهوا من تفتيش كل المساكن ، وانصرفوا خائبين ، فابتسمت فى سُخرية ، وغمغمت :

ـــ إلى الجحيم .

ثم دخلت منزلها ، وأغلقت بابها خلفها ، واستطردت ساخرة :

ـــ إننى لا أكذب أبدًا ، فأنا لا أخفى فى منزلى المجرمين .

وأزاحت ستارًا على الحائط ، ودفعت جانبًا من الحائط فى رفق ، فدار حول محور متوسط ، كاشفًا عن حجرة خفيّة ،

تحوى فراشًا واحدًا ، يرقد فوقه (أدهم) الفاقد الوعى ، وهى تردف فى هدوء :

ـــ ولكن هذا الشاب لا يبدو مجرمًا .. لا يبدو كذلك أبدًا .

ثم انحنت تفحص ساق (أدهم) ، قبل أن تتمتم :

ـــ التهاب رهيب .. ضاعفه مجهود شديد ، يفوق احتمال الساق ، حتى وهى سليمة .

مدّت أصابعها ، وضغطت الساق فى هدوء ، وتطلّعت إلى ذلك الاحمرار ، الذى انتشر من موضع ضغطتها ، وغمغمت :

ـــ ورشح خلوىّ عنيف ، ما بين الجلد والعضلات .

ثم اعتدلت ، مستطردة :

ـــ إنها حالة بالغة السوء حقًّا .

واستدارت تتناول سكينًا ضخمًا ، وهى تقول :

ـــ فى مثل هذه الأحوال ، يبتر الأطباء الساق على الفور .

ثم ابتسمت ، وهى تُدنى السكين من الساق ، مردفة :

ـــ وهم على حقّ ..

وبدأ السكين يقطع لحم ساق (أدهم صبرى) .. وسالت دماؤه ..

* * *

٤ ــ جولة جديدة ..

وقف مدير المخابرات المصرية فى شرفة حجرته ، المطلّة على فناء مبنى المخابرات العامة ، وجاهد ليكبح دمعة حزينة ، باغتته بالقفز عَبْرَ جفنيه ، وسالت على وجنته ، على حين ارتفع صوت (قدرى) من خلفه ، يغمغم فى أسف :

ــ تعازىَ يا سيِّدى .. لقد كان ولدك بطلًا .

أجابه المدير فى صرامة :

ــ هو ليس ولدى هنا يا (قدرى) .

أومأ (قدرى) برأسه متفهمًا ، ومقدِّرًا ، وغمغم :

ــ لقد فقدنا زميلًا عزيزًا على كل الأحوال .

تمتم مدير المخابرات فى حزن وأسى :

ــ هذا صحيح .

ثم مسح تلك الدمعة الفارّة ، قبل أن يلتفت إلى (قدرى) ، ويسأله فى حزم :

ــ هل من أنباء عن (أدهم) ؟

هزّ (قدرى) رأسه فى حزن ، وهو يقول :

ــ كلّا للأسف .. لقد اختفت أنباؤه منذ أسبوع كامل .. منذ تلك الليلة ، التى لقِىَ فيها (سمير) مصرعه (رحمه الله) والتى اختفى فيها الدكتور (أحمد) ..

صمت لحظة ، ثم استطرد :

ــ وإننى لأخشى أن ......

لم يستطع إتمام عبارته ، فبترها فى ألم ، وران الصمت على المكان لحظات ، قبل أن يغمغم مدير المخابرات فى خفوت :

ــ دعنا نأمل ألا يحدث ذلك يا (قدرى) .. دعنا نأمل أن يكون فى خير حال .

لم يكد يتمُّ عبارته ، حتى اندفع الرائد (وحيد) داخل حجرته ، وهو يهتف :

ــ سيِّدى .. برقية من (أدهم) .

التفت إليه مدير المخابرات و(قدرى) فى لهفة ، على حين امتُقِعَ وجهه ، وهو يستطرد فى ارتباك :

ــ معذرة يا سيِّدى .. لقد نسيت أن أطرق الباب ، و .....

قاطعه المدير فى لهفة :

ــ لا عليك يا (وحيد) .. دعك من الرسميّات الآن ، وقُل لى ، ماذا أصاب (أدهم) ؟ وماذا تقول برقيته ؟

لهث (وحيد) ، من فرط الانفعال ، وهو يقول :

ــ إنها مفاجأة مذهلة يا سيِّدى .. عن سافه .. لقد .. لقد .. يا إلهى !

اختطف مدير المخابرات البرقية من يد (وحيد) ، واندفع (قدرى) يقرؤها معه بكل اللهفة ، ولم يكد يلتهم كلماتها ، حتى هتف :

ـــ يا إلهى !!.. يا إلهى !! ساقه ؟

ولم يحتمل كل هذا القدر من الانفعال ، فسقط على أقرب مقعد إليه ، واحتقن وجهه فى شدّة ، وهو يردّد :

ـــ يا إلهى !!.. هذا مستحيل !! مستحيل حقًا !!

* * *

أطفأت (سونيا) سيجارتها فى عصبيّة ، فى منفضدة السجائر الذهبية الأنيقة ، فوق مكتب (بلوميه) ، داخل ناديه الفاخر للقمار ، وهى تهتف :

ـــ ما تفسير ذلك بالله عليكم ؟.. كيف يختفى (أدهم صبرى) لمدة أسبوع كامل ، وهو يعلم أننا نحتفظ بشقيقه ؟.. كيف ؟

غمغم (موروا) فى توتُّر :

ـــ لعله مات .

لوّحت بذراعيها ، هاتفة :

ـــ أين جثته إذن ؟

تنهّد (فنتورا) ، وغمغم فى خفوت ، وهو يجفف عرقه الغزير كالمعتاد .

ـــ إننا نبحث عنها .

صاحت فى غضب :

ـــ يا للسخافة !.. لو أنه هنا لظهر ، سواء حيًا ، أو جثة هامدة .

تردّد (بلوميه) لحظة ، ثم غمغم :

ـــ ربّما عاد إلى وطنه .

هزّت رأسها نفيًا فى قوّة ، وهى تقول :

ـــ مستحيل !

هتف (فنتورا) غاضبًا :

ـــ فليذهب إلى الجحيم :

ـــ وارتجّ جسده البالغ البدانة ، وهو ينهض من مقعده ، ويهتف لاهثًا :

ـــ إننا لن نقضى عمرنا بحثًا عن ذلك الشيطان .. لقد سئم رجالى هذا العمل السخيف .. سنعاود أعمالنا المعتادة ، وعندما يظهر ـــ إذا ما ظهر ـــ سنتصدّى له ، ونرديه قتيلًا .

قال (بلوميه) فى قوّة :

— هذا هو القول الصحيح .

أضاف (مورروا) فى حماس :

— أمّا الآن ، فلنقتل شقيقه .

هتفت (سونيا) فى ذُعْر :

— كلّا .

تطلعت إليها كل العيون فى دهشة ، فأضافت فى توتُّر :

— اتركوه حيا .. إنه ورقتنا الأخيرة .

ابتسم (بلوميه) فى سُخرية ، وهو يقول :

— أما زلت تخشين ذلك المصرى ؟

عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى عصبيّة :

— بل أقدّره حقّ قدره .

أطلق ضحكة ساخرة أغضبتها فى شِدّة ، قبل أن يلوّح بكفّه فى استهتار ، قائلًا :

— لا بأس .. فليبق حيًّا .

ثم ابتسم فى سُخرية ، مستطردًا :

— ولكننا سنصنع منه عُجّة ، بعد أن نعثر على شقيقه .. أقصد على جثته .

* * *

عبَرت العجوز (جوزى) ذلك الزُّقاق الضيق ، الذى يقود إلى الساحة ، وبدت بمظهرها الرّث ، وانعقاد حاجبيها ، وبريق عينيها ، وتلك الحقيبة تحت إبطها ، أشبه حقًّا بالساحرات ، حتى أن إحدى جاراتها مالت على أُذن زوجها ، وهمست :

— (فيليب) .. هذه العجوز تخيفنى فى شِدّة .

ابتسم زوجها ، ونفث دُخان غليونه فى هدوء ، وهو يقول :

— إنها مسكينة .. لقد راح زوجها ضحية حادث صيد ، ولقد بقيت منذ ذلك الحين مخلصة لذكراه .. وحيدة .. وهى لم تؤذ أحدًا يومًا .

غمغمت فى عِناد :

— ولكنها تخيفنى .

ضحك ، وهو يقول :

— لا تنظرى إليها إذن .

تناهى ذلك الحوار إلى أذنى (جوزى) ، إلّا أنها تجاهلته تمامًا ، ولم تلتفت إلى حرف واحد منه ، وهى تغمغم فى خفوت شديد :

ـ جهلة .

ثم دفعت باب منزلها ، ودلفت إليه ، وأغلقته خلفها فى إحكام ، واتجهت إلى الستار ، الذى يغطى حائط الحجرة السرّيّة ، وأزاحته ، وأدارت الحائط فى رفق ، ثم ابتسمت ، وهى تتطلّع إلى (أدهم) ، الذى استلقى فوق الفراش ، وقالت فى حنان :

ـ كيف حالك اليوم ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ فى خير حال .. والفضل يعود إليك .

تضرّج وجهها بحمرة خجل ، بدت عجيبة مع تغضّن الوجه ، وهى تتمتم :

ـ إننى لم أفعل شيئًا يُذكر .

ابتسم (أدهم) ، وسألها فى اهتمام :

ـ هل أرسلت البرقية ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وأضافت :

ـ نعم .. ولقد ابتعت لك تلك المواد التى طلبتها ، وإن كنت أجهل ، على الرغم من خبرتى الطبّية ، فيمَ يمكنك استخدامها ؟



أومأت برأسها إيجابًا ، وأضافت :

ـ نعم .. ولقد ابتعت لك تلك المواد التى طلبتها ..

ضحك قائلًا :
ـ فى أغراض غير طيِّبة .
ثم أطلق ضحكة أخرى ، وقال :
ـ أراهن أن البرقية ستثير ذُهولهم فى الإدارة .
ابتسمت مغمغمة :
ـ أتقصد بشأن ساقك ؟
ابتسم مغمغمًا :
ـ بالطبع .. كيف يمكنهم أن يصدِّقوا أن عبقرية مثلك قد تحدَّت أقوال أربعة من أبرع أطباء العالم ، وهزمتهم جميعًا .
غمغمت فى حياء :
ـ إننى لم أفعل سوى أن جرحت الساق ، فى موضع الالتهاب ، ووضعت فوقها بعض الأعشاب والنباتات الطبِّية ، كما علَّمنى زوجى الراحل ، منذ ما يقربُ من نصف القرن .
هتف وهو يعتدل ، ويقفز واقفًا على قدميه ، فى حيوية ونشاط :
ـ ولقد كانت النتيجة رائعة .. لقد شُفِيَت ساقى تمامًا ، وعادت إلى سابق عهدها .. بل أفضل مما كانت .
تمتمت فى حنان أمومى :

ـ كم يسعدنى ذلك .
جلست تراقبه فى حنان ، وهو يراجع محتويات الحقيبة ، قبل أن تسأله :
ـ والآن ماذا ستفعل ؟
أجابها فى هدوء :
ـ سأبحث عن أخى .
تنهَّدت فى عمق ، وغمغمت :
ـ أنت تلعب بالنار يا ولدى .. إنك تواجه ثلاثة من أشرس مجرمى العالم .. سواء (فنتورا) ، أو (بلوميه) ، أو (مورو) ، وهم يمتلكون كل شيء فى هذه المدينة ، والانتصار عليهم يحتاج إلى جيش كامل .
انحنى يقبِّل وجنتها ، وهو يقول :
ـ اطمئنى يا (چوزى) .. لقد حطَّمت أنوف مَنْ هم أكثر قوَّةً منهم سابقًا .
تنهَّدت قائلة :
ـ فليوفِّقك الله يا ولدى .. إن ما تسعى إليه هو حُلم مدينتنا . وربَّما حقَّقت أنت هذا الحُلم فى تلك الجَوْلة الجديدة .. ربَّما .

* * *

٥ ــ الأوَّل ..

استرخى (موروا) فى حمامه الضخم ، وسط المياه الدافئة ، ورغاوى الصابون ، التى تغطى كل جسده تقريبًا ، فيما عدا عنقه ورأسه ، وهو يُسْبِل جفنيه ، وينفث دُخان سيجار ضخم بين أسنانه ، ويحْلُم بتلك الأيام السعيدة الرائعة ، مع (سونيا جراهام) الفاتنة ، بعد أن يقضى على (أدهم صبرى) ، أو يعثر على جثته ..

وأفاق من أحلامه بغتة ، على صوت نحنحة قريبة ، ففتح عينيه ، وعقد حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ــ ماذا تريد يا (ميشيل) ؟.. إننى أنعم بحمامى اليومىّ المعطَّر ، وأنت تعلم كم أكره أن يقاطعنى أحد خلاله .

تمتم (ميشيل) فى توتُّر :

ــ معذرة يا مسيو (موروا) ، ولكنْ هناك مفتش شرطة جديد ، يرغب فى مقابلتك ، ويصرُّ على أن يكون ذلك فورًا .

عقد (موروا) حاجبيه فى توتُّر ، وهو يغمغم :

ــ مفتش شرطة جديد ؟!

ثم سأله فى قلق :

ــ هل يعرج ؟

هزَّ (ميشيل) رأسه نفيًا ، وابتسم فى أعماقه ، وقد أدرك مغزى سؤال زعيمه ، وأجاب فى هدوء :

ــ كلَّا .

عقد (موروا) حاجبيه أكثر ، ومطَّ شفتيه ، على نحو زاده قبحًا ، وهو يقول :

ــ ماذا يريد ذلك التافه ؟.. ولماذا لم يبلغنى ذلك الوغد (ترودو) ، بوجود مفتش شرطة جديد فى صفوفهم ؟

أخذ يفكِّر فى الأمر بعض الشىء ، ثم لم يلبث أن قال فى صرامة :

ــ لابأس .. دعه يأتى إلى هنا ، وأحضر عشرة آلاف فرنك نقدًا .

وابتسم فى سُخرية ، مستطردًا :

ــ سنضمه إلى قائمة المرتشين ، من رجال الشرطة .

ابتسم (ميشيل) فى سُخرية مشابهة ، وهو يقول :

ــ كما تأمر يا مسيو (موروا) .

غادر الحمام الفاخر لحظات ، ثم عاد ومعه المفتش الجديد ..

ولم يكد (موروا) يلقى نظرة على المفتش ، حتى تلاشى كل ما بقى فى أعماقه من شك ..

لقد كان المفتش أصلع الرأس ، ضخم الأنف .. كثّ الشارب ..

وكانت فى لكنته رنة مضحكة ، وهو يقول :

ـ مسيو (موروا) حسبما أعتقد .. أليس كذلك ؟

ابتسم (موروا) تلك الابتسامة ، التى تزيده قبحًا ، وهو يقول :

ـ صحيح أننى لا أرتدى ثيابى ، ولكننى هو .

ابتسم المفتش ، فى برود ، وكأنما يجامله ، ثم قال :

ـ أنا المفتش (جان بول) .. ملحق بشرطة (مارسيليا) حديثًا .

غمغم (موروا) فى تجاهل :

ـ مرحبًا .. لماذا لم يخبرنى (ترودو) بقدومك ؟

قال (جان بول) فى هدوء :

ـ أتقصد المفتش (ترودو) ؟.. لعله لم يفعل ؛ لأننى قد وصلت حديثًا .. حديثًا جدًا .

مطّ (موروا) شفتيه ، وهو يغمغم :

ـ ربما .

ثم عاد يسترخى فى حمامه ، ويسأله فى لامبالاة :

ـ ما سرُّ هذه الزيارة يا تُرى .

ـ تنحنح المفتش (جان بول) ، قبل أن يغمغم :

ـ هناك رجل يتهمك باختطاف شقيقه ، وإخفائه هنا .

.. اتسعت عينا (موروا) ، وهبَّ جالسًا ، وهو يهتف :

ـ ماذا ؟!

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فى توتُّر :

ـ من هذا الرجل ؟.. ما اسمه ؟

هزَّ المفتش رأسه نفيًا ، وهو يقول فى هدوء :

ـ ليس هذا من شأنك يا مسيو (موروا) .. القانون يمنح المبلِّغ الحق فى .....

قاطعه (موروا) فى غضب :

ـ فليذهب القانون إلى الجحيم .

انعقد حاجبا المفتش فى غضب ، وتبدَّل صوته على نحو مُذهل ، وهو يقول :

ـ بل فلتذهب أنت أيها الحقير .

اتسعت عينا (موروا) فى رُعب وذُهول ، وقفز محاولًا

الوصول إلى مسدسه ، إلا أن نشاطًا رهيبًا قد دبَّ فجأة فى جسد المفتش ، فقفز قفزة مُذهلة ، أوصلته إلى ما خلف (موروا) ، وأحاط عنق هذا الأخير بساعده فى قوّة ، وهو يهتف فى صرامة :

ــ أين أخى أيها الحقير ؟.. أين هو ؟

اختنق (موروا) فى شدّة ، وجحظت عيناه رعبًا وألمًا ، وراح يضرب ماء الحمام المعطر بساقيه وذراعيه ، وهو يهتف فى صوت متحشرج مختنق :

ــ إنه ليس هنا .. ليس هنا .

اشتدَّ ضغط ساعد (أدهم) على عنقه ، فبكى ، وهو يهتف :

ــ أقسم لك إنه ليس هنا .

سأله (أدهم) فى صرامة :

ــ أين هو إذن ؟.. أين ؟

هتف وقد جحظت عيناه فى شدّة :

ــ هناك .. عند .....

قبل أن يتمّ عبارته ، اندفع (ميشيل) داخل الحمام ، وهو يقول :

ــ ها هو ذا المبلغ أيها الزعيم .. إنه .....

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فيما يحدث أمامه ، ثم تخلّى عن أوراق النقد ، وانتزع مسدّسه ، وهو يصرخ :

ــ اللعنة !! إذن فهو أنت .

وأطلق النار ..

* * *

لقد استعاد (أدهم) قوّته ..

فارقه عجزه ، واستعاد عنفوانه وقُدراته ..

إنه لم يكد يرى ذلك المسدّس ، وهو يُصوّب نحوه ، حتى جذب (موروا) خارج حمامه المعطر ، وجعل من جسده دِرْعًا ، يحُول بينه وبين رصاصة (ميشيل) ..

ولكن رصاصة (ميشيل) أصابت هدفًا ..

أصابت قلب زعيمه تمامًا ..

وجحظت عينا عملاق (مارسيليا) فى ألم وذهُول ورُعب ..

واندفع الدم من موضع قلبه تمامًا ، ليلوّث الحمام المعطر ..

وصرخ (ميشيل) فى رُعب :

ــ مسيو (موروا) .

تخلّى (أدهم) عن جسد (موروا) ، وقفز نحو (ميشيل) ، وأطاح بمسدّسه بركلة من يُسراه ، وحطّم أسنانه بركلة كالقنبلة من يُمناه ..



تخلى (أدهم) عن جسد (موروا) ، وقفز نحو (ميشيل) ، وأطاح بمسدسه بركلة من يُسراه ..

وصرخ (ميشيل) ، وهو يسقط أرضًا :

ــ النّجدة يا رجال !!

وقبل أن يتلاشى رنين صيحته ، اندفع أربعة عمالقة مسلّحين بالمدافع الرشاشة داخل الحمام الضخم ..

وبنظرة واحدة ، أدركوا الموقف كله ..

وارتفعت فوّهات المدافع الرشاشة الأربعة فى وجه (أدهم) ..

* * *

كل ما يذكره هؤلاء الرجال الأربعة ، وكل ما ذكروه فيما بعد ، هو أنهم قد رفعوا فوّهات مدافعهم فى وجه (أدهم) ، وبعدها هبّ إعصار ..

إعصار عاتٍ مدمّر ..

لقد قفز (أدهم) نحوهم فى مرونة ورشاقة مُذهلتين ، وهشمت قبضته اليمنى فك أولهم بلكمة كالقنبلة ، ثم ارتفعت قدمه اليُسرى ، لتطيح بمدفع الثانى ، وتراجعت فى حركة دائريّة ، لتغوص فى معدة الثالث ، فى نفس اللحظة التى قفزت فيها القدم اليمنى ، لتركل الرابع فى صدره ، وأعقبتها القبضة اليُسرى كالصاعقة فى أنفه ..

وبحركة دائرية معقّدة ، ركلت قدم (أدهم) فك الثالث ، ومعدة الثانى ، ثم قفزت إلى فك هذا الأخير ..

وانتهت المعركة فى ثانيتين على الأكثر ..

وبسرعة ، انحنى (أدهم) يلتقط أحد المدافع الرشاشة ، ثم اندفع يشقُّ طريقه وسط قصر (مورو) ..

وكانت رصاصاته تصيب هدفها حتمًا ، كما لو كانت صواريخ موجَّهة ، إلا أن حرَّاس الباب احتموا ببعض التماثيل الرخامية ، وراحوا يتبادلون معه إطلاق النيران فى شراسة ..

وتراجع (أدهم) ، واندفع نحو الحمام مرَّة أخرى ، وتبعه أكثر من عشرة رجال ، على حين اقتحم هو الحمام ، واندفع نحو نافذته ، واخترقها بقفزة رهيبة ، وحطَّم زجاجها ، وهَوَى منها إلى الحديقة ، فى مبادرة مفاجئة سريعة ، وقبل أن يستدير جميع رجال (مورو) لمواجهته ، كان قد قفز داخل واحدة من سياراتهم ، وأدار محرِّكها ، وانطلق بها كالصاروخ ، مُحطِّمًا بوَّابة القصر ، ومتفاديًا رصاصات حراسها ، ومبتعدًا فى سرعة جنونية ..

وفى الحمام ، انحنى أحد رجال (مورو) يفحص زعيمه ، ثم شحب وجهه ، وهو يعتدل مغمغمًا فى ارتياع :

ـــ لقد مات .. لقد قتله الشيطان المصرى ..

* * *

٦ ـــ إجراءات أمن ..

« قتله ؟!.. » ..

هبَّ (فنتورا) من مقعده ، وهو يهتف بتلك العبارة فى رُعب وذُهول ، وراح يلهث فى شِدَّة مخيفة ، ويجفِّف شلالًا من العرق ، غمر وجهه ، وهو يستطرد فى ارتياع :

ـــ قتل (مورو) ؟!.. ذلك الشيطان المصرى قتل (مورو) ؟!

هتف (ديلون) فى توتُّر بالغ :

ـــ والأدهى أنه قد نجح فى الفرار يا مسيو (فنتورا) .

صاح (فنتورا) فى ذُعر :

ـــ ولماذا لم تبلغوا الشرطة ؟.. لِمَ لَمْ تحاولوا استغلال سلطاتنا ؟

أجابه فى عصبيَّة :

ـــ لقد فعلنا يا مسيو (فنتورا) ، ولقد عثر رجال الشرطة على السيَّارة ، ولكنها كانت خالية ، ولم يعثروا لذلك الشيطان على أثر .

قالت (سونيا) فى جِدّة :

ــ ولن يعثروا عليه .

التفت إليها (فنتورا) فى ذُعر ، وهو يهتف :

ــ ماذا تقولين يا (سونيا) ؟.. أتحاولين إثارة فزعى ؟

هبّت من مقعدها ، وهى تقول فى توتّر :

ــ كلّا ، وإنما أحاول تبصيرك بالأمر .. إن ما يرويه (ديلون) الآن ، يعنى أن (أدهم) قد استعاد قوّته وقدراته بوسيلة ما .. صحيح أن هذا يبدو لى مستحيلًا ، بكل المقاييس الطبية ، ولكن لا يوجد مستحيل ، مع رجل مثله .

هتف فى عصبيّة وخوف :

ــ سأظفر به يا (سونيا) .. سأظفر به حتمًا .. ما دام داخل المدينة ..

ــ سأوزّع صورته على كل رجالى ، و .....

لوّحت بكفّها ، صائحة :

ــ كفى يا مسيو (فنتورا) .. من الواضح أنك تجهل تمامًا قدرات خصمك ، وهذه هى أولى الخطوات نحو الفشل .. إنك تواجه شيطانًا مَرِيدًا ، يجيد التنكّر ، على نحو قادر خداع المرآة نفسها ، ويتحدّث كل اللغات الحيّة تقريبًا ، و .....

هتف يقاطعها فى ذُعر :

ــ وماذا ؟!

ثم صاح فى وجه (ديلون) :

ــ اسمع يا فتى .. إننى سأبقى هنا ، ولن أغادر مكتبى هذا ، حتى يتم العثور على ذلك الشيطان ، والتخلّص منه ، وحتى ذلك الحين ، ستعمل على إحاطتى بسوار أمن مُحكم الإغلاق ، لا تنجح فى اختراقه ذبابة واحدة .. هل تفهم ؟.. اعتبر نفسك منذ هذه اللحظة ضمن رجالى ، بعد مصرع زعيمك .. وستصبح ذراعى اليمنى ، كما كنت بالنسبة لـ (موروا) المسكين ، وأريد منك أن تتولّى أمر حمايتى .. هل تفهم ؟

أجابه (ديلون) فى تردُّد :

ــ سأحاول يا مسيو (فنتورا) .

صرخ (فنتورا) فى هياج :

ــ إننى أكره سماع هذه الكلمة المائعة .. قُل لى .. هل ستفعل أم لا ؟

تنهّد (ديلون) فى عمق ، وقال :

ــ سأفعل يا مسيو (فنتورا) .. سأفعل .

قالها واتجه نحو الباب ، فهتف به (فنتورا) فى توتّر بالغ :

— إلى أين ؟
أجابه فى توتر مماثل :
— سأبدأ فى نشر إجراءات الأمن يا مسيو (فنتورا) .
لوّح (فنتورا) بكفه ، هاتفًا :
— نعم .. نعم .. اذهب .. هيا .. لا تضيّع وقتًا .
لم يكد (ديلون) ينصرف ، حتى غمغمت (سونيا) :
— هُرَاء .
تطلّع إليها (فنتورا) فى ذعر ، وراح يلهث ، ويجفّف عرقه الغزير ، وهو يسألها فى انهيار :
— ماذا هناك يا (سونيا) ؟.. ما الذى تحاولين فعله بى ؟
عقدت حاجبيها فى شدة ، وهى تقول فى توتر :
— لا شىء يا (فنتورا) .. لا شىء .. ولكننى أخشى أن كل هذا لن يقف عائقًا فى وجه (أدهم) .. لو أنه يرغب فى الوصول إليك .
راح ينتفض فى ذعر ، وهو يغمغم :
— أنت تبالغين يا (سونيا) .. تبالغين حتمًا .
ثم لوّح بذراعه المكتظ ، مستطردًا فى صوت لاهث :
— أنت لا تعلمين لماذا أقمت مكتبى ، فى هذه البقعة بالذات ؟

إنه يطلّ على البحر من ثلاث جهات ، ويرتفع عن الأرض بأعمدة عارية ، بحيث يستحيل أن يتسلّل مخلوق ، من البحر إلى هنا ، دون أن يبدو واضحًا للأعين ، كنقطة سوداء ، على سطح أبيض لامع .. صدّقينى .. ليست هناك وسيلة لبلوغ مكتبى ، سوى عبْر مدخله البرى الوحيد ، وأنا أضع حراسة مشدّدة عليه ، كما سمعت .
مطّت شفتيها ، وهى تغمغم :
— كل جهاز أمن ، مهما بلغ إحكامه ، يحوى ثغرة ، و (أدهم) خبير بكشف هذه الثغرة ، واستغلالها إلى أبعد مدى .
هتف فى سُخط :
— أتحاربينه ، أم تعملين لحسابه ؟
عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى صرامة :
— إننى أكره التقليل من شأن الخصم .
احتقن وجهه ، وهو يتطلّع إليها لحظات فى صمت ، ثم هتف فى توتر :
— سأقتل شقيقه .
عقدت حاجبيها فى غضب ، وهى تقول :

— ستكون هذه أكبر حماقة ترتكبها في حياتك .

هتف في غضب :

— أن أقتل شقيقه ؟!

أجابته في حِدّة :

— بل أن تفقد أكبر ورقة ، يمكنك أن تساوم بها .

صمت لحظات ، ثم جفّف عرقه في عصبيّة ، مغمغمًا :

— نعم .. أنت على حقّ .

ابتسمت في ظفر ، وقالت :

— ولكن اطمئن يا مسيو (فنتورا) .. إنني أعرف هذا الرجل جيّدًا ، كما لا يعرفه مخلوق آخر ، في هذا العالم ، وأنا أعلم كيف أهزمه ، وأفوز به في النهاية .

ومنحته ابتسامة عذبة ، ثم اتجهت نحو الباب ، وهي تستطرد في صوت شديد الخفوت ، لم يسمعه سواها :

— بعد أن يقضي عليكم جميعًا .

ومن أعماقها ، انطلقت ضحكة شيطانية ساخرة ..

* * *

أحاط رجال (فنتورا) بمدخل مكتب زعيمهم ، وهم يديرون عيونهم فيما حولهم في تحفّز ، ومدافعهم الرشاشة في أيديهم متحفّزة ، متوتّرة ، وأصابعهم فوق أزندها متأهّبة ،

متيقظة ، وقال لهم (ديلون) في صرامة :

— مهمّتكم تقتصر على منع أي مخلوق من الاقتراب من هذا المكان ، أو الصعود إلى الزعيم ، سواي ، وسوى مسيو (بلوميه) ، ومدموازيل (سونيا) .. ولا تتردّدوا في إطلاق النار على من هو دون ذلك ، مهما بدا مظهره ، ومهما كانت هيئته .. حتى ولو كان رجل شرطة ، أو عجوزًا ، أو حتى كاهنًا .. هل تفهمون ؟

أومئوا برءوسهم علامة الفهم ، فاستعار هو عبارة (فنتورا) ، قائلًا :

— لا أريد لذبابة واحدة أن تخترق ستار الأمن هذا .

عادوا يومئون برءوسهم ، فاعتدل ، وزفر في توتّر ، وهو يغمغم :

— لعل هذا ينفع .

ثم اتجه إلى سيّارته ، وانطلق بها إلى منزله ، وهو يشعر في أعماقه بخوف مُبهم ..

خوف غامض عجيب ..

* * *

فتح الدكتور (أحمد) عينيه في صعوبة ، وهو يتطلّع إلى تلك

الزائرة الفاتنة ، التى دلفت إلى حيث يحتجزونه ، منذ ثمانية أيام ، وغمغم فى حنق .

— أهو أنت يا (سونيا) ؟

كان يتحدث بالعربية ، فأجابته بها فى طلاقة :

— نعم .. هو أنا .

حاول أن يبتسم فى ألم وصعوبة ، وهو يقول :

— لاريب أن (أدهم) قد ظهر ، مادمت أحظى بتلك الزيارة .

جلست فى مواجهته ، وتأملت ملامحه الوسيمة ، وذقنه النامية ، وأدهشها كثيرًا أنه لايوجد أدنى تشابه بينه وبين (أدهم) ، حتى أنها قد تساءلت عمًّا إذا كانا حقًّا شقيقين ، قبل أن تقول فى هدوء ، وهى تضع إحدى ساقيها فوق الأخرى ، وتشعل واحدة من سجائرها الرفيعة :

— نعم .. لقد عاد .

سألها الدكتور (أحمد) فى لهفة ، لم يفلح فى إخفائها :

— أهو بخير ؟

ابتسمت فى سُخرية ، وهى تقول :

— حتى الآن ، نعم .

تنهَّد فى ارتياح ، فأردفت فى برود :

— لأنه يتعامل مع أغبياء .

غمغم فى استرخاء :

— أهكذا تصفين رفاق العمل ؟

قلَّبت شفتيها فى امتعاض ، وهى تقول :

— رفاق عمل ؟.. كلَّا يا عزيزى .. إنهم ، وعلى الرغم من قوتهم وغطرستهم ، ومايحيطون به أنفسهم من قوة وفخامة ، لايصلون إلى ذلك المستوى ، الذى يستحقُّون فيه أن أطلق عليهم لقب (رفاق العمل) .

تمتم ساخرًا :

— مثل (أدهم) .

رمقته بنظرة باردة ، ونفثت دُخان سيجارتها فى عمق ، قبل أن تقول فى تحدٍّ :

— نعم .. مثل (أدهم) .

ونهضت ، تستطرد فى توتُّر :

— إن (أدهم) رفيق عمل ، إلى الحدّ الذى جعلنى أفهمه تمامًا ، وأستطيع أن أقدِّر كل قواته وقدراته ، حتى مايبدو للآخرين منها مستحيلًا .



ثم نفثت دُخان سيجارتها مرّة أخرى ، قبل أن تُردِف في وحشية وشراسة :
ـ لأنني في هذه الحالة سأنتقم ..

جذب ساقه المكسورة ، وأراح موضعها قليلًا ، قبل أن يسألها :

ـ ولكن لماذا تعتبرينه عدوًّا ؟.. ألم ينته عملك بـ(الموساد) ؟

هتفت في شراسة :

ـ هذا هو السبب .. إنه المسئول عن فصلي من صُفُوف (الموساد) .

ثم نفثت دُخانها في عصبيّة ، قبل أن تستطرد :

ـ أتعلم ؟.. أنا واثقة من أنه سيهزم (فنتورا) و (بلوميه) مهما اتخذا من احتياطات ، وأنا أنتظر أن يفعل ، وبعدها أظفر أنا به ، فأبدو أكثر قوّة منهم جميعًا .

سألها ساخرًا :

ـ وماذا لو فشلت في اقتناصه أيضًا ؟

أجابته في عصبيّة :

ـ سيكون هذا من سوء حظّك .

ثم نفثت دُخان سيجارتها مرّة أخرى ، قبل أن تُردِف في وحشية وشراسة :

ـ لأنني في هذه الحالة سأنتقم ، و ...... وأقتلك ..

* * *

٧ ــ الثانى ..

كان توتُّر (فنتورا) ورعبه يتضاعفان ، فى كل ثانية تمرُّ به ، وهو داخل سجنه الاختيارىّ ، حتى بات مظهره يدعو للرثاء والإشفاق ، بجسده البالغ الضخامة والبدانة ، ووجهه المحتقن دوْمًا ، وذلك العرق الغزير ، الذى يتصبَّب دوْمًا على وجهه ، حتى فى أيام الشتاء القارصة البرودة ، واللُّهاث الذى بات جزءًا من أنفاسه العاديَّة ..

ولقد أصابه الملل ، من كثرة ما تطلَّع إلى جوانب البحر الثلاثة ، وإلى رجاله ، الذين يحيطون بالمكان فى تحفُّز وتوتُّر ، فهتف فى سُخط .

ــ اللَّعنة !! متى يتم القضاء على ذلك الشيطان ؟

زفر فى قوَّة ، وتطلَّع فى اهتمام إلى سيَّارة (ديلون) ، التى اقتربت من مكتبه ، وغمغم متوتِّرًا .

ــ لعله يحمل خبر القضاء على ذلك الشيطان ..

وصمت لحظة ، وهو يراقب توقُّف السيَّارة ، و (ديلون) الذى هبط منها ، وراح يصعد إليه فى سرعة ، واستطرد ساخطًا :

ــ إنه آدمىّ يمكن التحدُّث إليه على الأقل .

طرق (ديلون) باب المكتب ، فهتف به :

ــ ادخل .

دخل (ديلون) فى هدوء ، فسأله هو فى لهفة :

ــ هل تحمل أخبارًا جيِّدة ؟

قلَّب (ديلون) كفَّيه ، وهو يقول :

ــ لا أثر لذلك الشيطان .

عقد (فنتورا) حاجبيه ، وهو يهتف فى حنق :

ــ هل اختفى ؟.. هل تبخَّر ؟

هزَّ (ديلون) كتفيه ، وهو يقول :

ــ أظنه يبحث عن أخيه .

ثم مال نحو (فنتورا) ، مستطردًا :

ــ لِمَ لا نعطيه إيَّاه ، لينصرف عنا ؟

هتف (فنتورا) فى استنكار :

ــ ماذا تقول أيها التَّعس ؟.. أتطلب منَّا الاعتراف بهزيمتنا ؟.. أتطلب منَّا أن نسلِّمه أخاه ، ونعتذر له عما فعلناه به ، ونرد لـ(سونيا) الخمسة ملايين دولار ؟

رفع (ديلون) حاجبيه ، وهو يقول فى دهشة :

— خمسة ملايين ؟

لوّح (فنتورا) بكفّه ، وهو يقول :

— إنها نصف القيمة فحسب ، وسنحصل على النصف الآخر ، بعد أن نقضى عليه .

غمغم (ديلون) فى سُخرية :

— عجبًا !!.. يبدو أن رجل المخابرات المصرى هذا باهظ الثمن .

عقد (فنتورا) حاجبيه ، وهو يغمغم :

— نعم .. يبدو ذلك .

وفجأة ، دوّى صوت من أسفل جمّد الدماء فى عروق (فنتورا) ..

كان صوت (ديلون) ..

(ديلون) الواقف أمامه ، كان صوته يدوّى فى أسفل ، وهو يهتف :

— الحقوا به .. ذلك الذى يحتل مظهرى الزائف .

حدّق (فنتورا) فى وجه (ديلون) ، وهو يهتف فى رُعب :

— من أنت إذن ؟

ارتسمت على شفتى الواقف أمامه ابتسامة ساخرة مخيفة ، وهو يقول فى هدوء شديد :

— إننى الرجل الذى تبحث عنه أيها الوغد .. أنا (أدهم صبرى) ..

* * *

تصاعد وقع أقدام رجال (فنتورا) ، وهم يصعدون فى الدرج إلى مكتبه ، على حين حدّق هو فى وجه (أدهم) فى ذُهول ، ثم قفز نحو مكتبه ، هاتفًا :

— لن تنال منّى .

كانت قبضة (أدهم) أسبق إلى فكّه ، فألقته أرضًا بلكمة كالقنبلة ، وبطلنا يقول فى سُخرية :

— مُحال أيها الوغد .. ينبغى أن تتخلّى عن طنّين من الشحم أوّلًا .

صرخ (فنتورا) فى رُعب وألم ، عندما أحاط (أدهم) عنقه بساعده ، وغرس فُوّهة مسدّسه فى جنبه ، فى نفس اللحظة ، التى اقتحم فيها (ديلون) الحقيقى ورجاله المكتب ، وهتف الرجل فى سُخط :

— عليك اللّعنة !! كيف وصلت إلى هنا ؟

أجابه (أدهم) فى سخرية ، وهو يحتمي بجسد (فتورا) الضخم :

— لقد تسللت إلى هنا تحت الماء ، وأدركت استحالة بلوغ مكتب ذلك الفيل الآدمي من هناك ، وبينما كنت أبحث عن وسيلة ، سمعتك تبلغ أوامرك لرجالك ، وفهمت منها أنه غير مسموح بالصعود إلى بيت الفيل ، سوى لثلاثة : أنت ، وذلك الوغد (بلوميه) ، و (سونيا) .. ولمّا كان (بلوميه) شديد النّحول ، على نحوٍ يستحيل معه أن أنتحل شخصيته ، ولمّا كان من المستحيل محاكاة جمال عزيزتنا (سونيا) الفتّان بالتنكُّر ، فلم يعُد أمامي سواك .

هتف (ديلون) فى غضب :

— إنك لم تتوقّع أن أعود بهذه السرعة .. أليس كذلك ؟

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال فى سخرية :

— لا فى الواقع ، فلقد قدّرت أن لكمتي ستفقدك الوعي ثلاث ساعات على الأقل ، ولكن يبدو أنك أقوى مما كنت أتوقّع .

شهَر (ديلون) مسدّسه فى وجهه ، وهو يهتف :

— أتتوقّع أن تغادر هذا المكان حيًا ؟

أجابه (أدهم) فى برود ساخر :

— بالطبع .. مادمت أحتمي بذلك الفيل .

هتف (فتورا) فى رُعب ، وهو يختنق ، من شدّة ضغط ذراع (أدهم) ، على أكوام الشحم حول رقبته :

— لا تطلقوا النار .. لا تمسوه بسوء .. دعوه ينصرف فى سلام ويتركني .

قال (أدهم) ساخرًا :

— نسيت أن تأمرهم بتسليمي شقيقي .

هتف (فتورا) ، وقد صار يلهث كقاطرة بخارية قديمة ، والعرق يتساقط على وجهه كفيض من الماء البارد :

— إنه ليس هنا .. أُقسم لك إنه ليس هنا .. إن (بلوميه) يحتفظ به فى قبو الخمر ، أسفل ناديه الرئيسيّ .. أُقسم لك .

عقد (ديلون) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :

— يبدو أنك قد خسرت كل شيء هذه المرّة يا مسيو (أدهم) ، فشقيقك ليس هنا ، ولقد أحطنا منطقة المياه ، حول المكان ، بأسلاك مكهربة ، وملأناها بأسماك القرش ، ولا توجد وسيلة واحدة للفرار من هنا .

قال (أدهم) فى سخرية ، وهو يشدّد الضغط على عنق (فتورا) :

ومن قال إنني سألجأ إلى هذه الوسائل المعقّدة ؟..

سأدفع أمامى هذا الفيل البشرى ، ونغادر المكان من بابه الرئيسى ، أمام عيون الجميع .

أجابه (ديلون) فى حِدَّة :

— لو أنك تتصوَّر ذلك ، فاسمح لى أن أؤكِّد خطأك .

هتف (فنتورا) ، وهو يكاد ينهار رعبًا :

— دعْوه يخرج يا (ديلون) .. دعْوه .

قال (ديلون) فى صرامة :

— آسف يا مسيو (فنتورا) .. لا أحد هنا سيطيع أوامرك ، فلقد كان مسيو (بلوميه) يتوقَّع ذلك ، فاشترى كل رجالك ، ووعدهم بأن ينقدهم ضعف ما تنقدهم إيَّاه ، مقابل ألا يسمحوا لذلك المصرىّ بالفرار ، حتى ولو كان ذلك على حسابك أنت شخصيًا .

وفى آن واحد ، ومع تلك المفاجأة ، شعر (أدهم) بشخص يتسلَّل إليه من النافذة ، خلفه تمامًا ، فى نفس اللحظة ، التى هتف فيها (ديلون) :

— اقتلوهما يا رجال .

وعلى الفور ارتفعت فوَّهات المدافع الرشاشة فى وجهى (أدهم) و (فنتورا) ..

وانطلقت النيران ..

* * *

٨ — صراع فى الميناء ..

اتسعت عينا (بلوميه) ، وبرقتا فى شدة ، وهو يستمع إلى ذلك الرجل ، من رجال (فنتورا) ، الذى هرع إليه ، ليبلغه بالأمر ، فور ظهور (ديلون) الحقيقىّ ، وصعوده مع باقى الرجال إلى مكتب (فنتورا) ، وهتف وجسده النحيل كله يرتجف فى انفعال :

— إذن فذلك الشيطان المصرىّ هناك !.. هل قتلوه ؟

أجابه الرجل فى خفة :

— إننى لم أنتظر حتى يفعلوا يا سيِّدى ، لقد هُرِعْتُ إلى هنا على الفوْر ، لأخبرك بالأمر .

برقت عينا (بلوميه) مرَّة أخرى فى شدة ، وهو يقول :

— أحسنت يا رجل .

ثم التفت إلى (موريس) ، واستطرد فى انفعال :

— أرسل إليهم الإمدادات يا (موريس) .. حاصروا الميناء ، افعلوا أى شىء ممكن ، ولكن اقتلوا ذلك الشيطان .

انحنى (موريس) فى احترام ، واندفع ينفِّذ الأمر ، على

حين أخرج (بلوميه) من جيبه رِزْمَة مالية ، ألقاها للرجل ، وهو يكرّر :

ـــ أحسنت يا رجل .. الحقْ بهم .. هيّا .

التقط الرجل رِزمة الأوراق فى خفة ، وانحنى أمام زعيمه الجديد فى شدة ، وهو يتراجع ، حتى أسرع ينفذ الأمر بدَوْره ، على حين ارتسمت ابتسامة كبيرة واسعة على شفتى (بلوميه) ، وهو يلتفت إلى (بيير) ، ويقول فى لهجة ظافرة :

ـــ أرسل فى طلب (سونيا جراهام) .. إنها تقضى نصف وقتها هناك ، مع ذلك الطبيب ، فى قبو البيت .. قُلْ لها إن ماتبغيه قد تمّ .

وتألّقت عيناه فى زَهْوٍ ونصر ، وهو يستطرد :

ـــ وإننى قد صرت ملك (ماروسيليا) .. ملكها بلا منازع .

* * *

انطلقت رصاصات (ديلون) ورجاله فى شراسة ، ودون تمييز للهدف ، ولكنها استقرّت كلها فى جسد (فنتورا) البالغ الضخامة ، الذى جحظت عيناه فى رُعب وألم وذُهول ، وهتف بصوت مختنق :

ـــ يا للشيطان !!

أما (أدهم) ، فقد انحنى يحتمي بجسد (فنتورا) ، من رصاصات رجاله السابقين ، ثم تعلّق به ، وقفز بقدميه ، ليخترق زجاج النافذة ، ويركل ذلك المتسلّل الخلفى ركلة كالقنبلة ، ألقته إلى الماء ، داخل حاجز الأسلاك المكهربة ، ووسط أسماك القرش المفترسة ..

ولم يكد (أدهم) يهبط على قدميه ، حتى دفع جثة (فنتورا) أمامه فى قوة ، هاتفًا :

ـــ فلتقاوموا تلك الدبّابة البشرية إذن .

ارتطم جسد (فنتورا) البدين بالرجال ، ودفعهم (أدهمَ) أمامه ، حت حطّم بهم جدار المكتب الخشبىّ ، وألقاهم فوق سُلّمه فى عنف ..

وصرخ (ديلون) وهو يسقط :

ـــ اقتلوه .. اقتلوه .

ولكن (أدهم) قفز من مكانه ، وتعلّق بخطاف هلب الشحن الضخم ، ودفع جسده إلى مخزن الشحن ، حيث قفز وسط تلال من الصناديق الضخمة ، ورصاصات الرجال تتابعه فى غضب وثورة ..

وبركلة قويّة ، أسقط عشرات الصناديق فوق رءوس

الرجال ، ثم قفز إلى ونش شحن صغير ، وانطلق به نحوهم ..
وراح الرجال يعدُون أمامه ، و (ديلون) يصرخ فى غضب شديد :
ــ تفرّقوا واقتلوه .. اقتلوه .
انقسم الرجال إلى فريقين ، اندفع كل فريق منهم إلى جانب ، ثم التفتوا إلى الونش ، وراحوا يمطرونه بالرصاصات ، قبل أن يتوقفوا فى دهشة ، ويحدّقوا فى الونش الخالى ، حتى هتف (ديلون) فى حدّة ، وهو يشير إلى سفينة شحن قريبة :
ــ ها هو ذا هناك .
التفتوا إلى حيث أشار ، ورأوا (أدهم) يتسلّق سلسلة ضخمة ، تتدلّى من السفينة ، فى سرعة مدهشة ، وأسرعوا يطلقون رصاصاتهم عليه ، ولكنه كان قد بلغ سطح السفينة ، وصاح (ديلون) ، وهو يشدّ شعر رأسه فى ثورة هائلة :
ــ مستحيل !! مستحيل !! إنه غير مسلّح .. مستحيل !!
وهناك ، على سطح السفينة ، أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة عالية ، ولوّح بيده ، هاتفًا :
ــ إلى اللقاء أيها الأوغاد .. حاولوا أن تبتاعوا ملعبًا ضخمًا ، يكفى لدفن جثة زعيمكم السابق .
قال هذا ثم قفز من سطح السفينة ، متجاوزًا حاجز الأسلاك المكهربة ، ومنطقة الأسماك المفترسة ، وغاص فى الأعماق ..



ودفع جسده إلى مخزن الشحن ، حيث قفز وسط تلال من الصناديق الضخمة ورصاصات الرجال تتابعه فى غضب وثورة ..

وصرخ (ديلون) فى هياج :

ـــ اقتلوه .. اقتلوه .

انهالت الرصاصات على الماء ، ولكن شيئاً لم يحدث ..

لقد اختفى (أدهم) ، وانتصر فى تلك الجولة ..

انتصر بحق ..

* * *

اندفعت (سونيا) داخل حجرة (بلوميه) ، فى ناديه الليلى الشهير ، وهى تهتف فى لهفة :

ـــ أصحيح ما سمعت يا (بلوميه) ؟.. أصحيح أنك قد قضيت على (أدهم صبرى) ؟

ابتسم فى هدوء ، وناولها كأساً من (الكونياك) ، وهو يقول :

ـــ ليس بعد .

انهارت لهفتها كلها دفعة واحدة ، وهى تهتف :

ـــ ليس بعد ؟!.. لِمَ أبلغنى رجلك بذلك إذن ؟.. لماذا أرسلت فى طلبى ؟

رفع الكأس إلى شفتيه ، وهو يقول مبتسماً :

ـــ لأن الأمور كلها قد اختلفت تماماً .

سألته فى حنق :

ـــ كيف ؟.. ما دمتم لم تقضوا عليه بعد ؟

جلس خلف مكتبه فى هدوء ، وقال :

ـــ كل الأمور قد اختلفت تماماً .. فعندما بدأ ذلك الأمر ، منذ ثمانية أيام ، كنت تتعاملين معى ، بصفتى واحداً من ثلاثة رجال ، يحكمون (مارسيليا) ، لمّا أنا فقد استمعت إليك ، وأنا أرسم فى عقلى لخطة أخرى .

وأشار إليها ، مستطرداً فى زهو :

ـــ لخطة كنت أنت الطُّعم فيها يا (سونيا) .

عقدت حاجبيها فى غضب ، وهى تقول فى حِدّة :

ـــ أنا ؟!

أطلق ضحكة ساخرة ، وقال :

ـــ نعم يا (سونيا) .. أنت .. منذ البداية وأنا أستغلك لتنفيذ لخطتى الخاصة ، فأنت أقنعت (فنتورا) و (موروا) بالدخول فى تلك المعركة ، وكنت أنا الصامت دوماً .. المنتظر أبداً .

وبرقت عيناه فى شدة ، وهو يستطرد :

ـــ ولقد ربحت فى النهاية .

سألته فى حِدّة :

ـــ كيف ؟. ألم تقل إنك لم تهزم (أدهم) بعد ، و .....؟

قاطعها فى سُخرية :

ـــ ليس هذا هو الظَّفر فى لُعبتى .. الظَّفر الحقيقى هو أننى قد صرت الملك .

غمغمت فى حَيْرة :

ـ الملك ؟!

هتف فى زَهْوٍ :

ـ نعم .. ملك (مارسيليا) .

وهبَّ من خلف مكتبه ، وراح يلوِّح بذراعه ، مستطردًا :

ـ بفضلك لقِىَ (موروا) مصرعه ، وكذلك (فنتورا) .. وبفضلك أصبحت أنا أقوى رجل فى (مارسيليا) .

والتفت إليها ، ولوَّح بسبَّابته فى وجهها ، هاتفًا :

ـ وأنا وحدى ، سأحصل على الملايين الخمسة الباقية .

كانت تتطلَّع إليه فى دهشة ، حتى بلغ هذا الحدّ ، فعقدت حاجبيها فى صرامة ، وهى تقول :

ـ بعد القضاء على (أدهم صبرى) بالطبع .

ابتسم فى سُخرية ، وقال :

ـ إننى لم أقصد سوى ذلك .. سأقضى على (أدهم صبرى) هذا بالطبع ، ما دام قد أتمّ أداء دوره .. سأقضى عليه ، بسبب شهامته .

عقدت حاجبيها ، وهى تسأله فى اهتمام :

ـ كيف ؟

أجابها فى استخفاف :

ـ إنه رجل شهم .. يخاطر بحياته ونفسه ، فى سبيل إنقاذ من يحب ، وهذا يعنى أنه سيأتى إلى هنا ، إن آجلًا أو عاجلًا ، وعندما يفعل ، سيكون قد وقَّع شهادة موته .

وصمت لحظة ، ثم أردف ، وهو يرفع الكأس إلى شفتيه :

ـ وسأفعل هذا كهدية .

غمغمت فى دهشة :

ـ هدية ؟!

تألَّقت عيناه ، وهى تتطلَّع إلى مفاتنها ، مغمغمًا :

ـ نعم .. هدية زواج .

عقدت حاجبيها ، وهى تتطلَّع إليه فى إمعان ، قبل أن يفترّ ثغرها عن ابتسامة عذبة واثقة ، وهى تلتقط كأسها ، وترفعه إلى شفتيها ، قائلة :

ـ اتفقنا .

ومرَّة أخرى ، انطلقت من أعماقها ضحكة شيطانية ساخرة ..

ضحكة تحمل رنين الموْت ..

* * *

٨ ـ نادى القتلة ..

دقَّت الساعة ، تعلن منتصف الليل تمامًا ، عندما ابتسم (بلوميه) فى سُخرية ، وهو يقول لـ(سونيا) ، التى بدت شديدة العصبيّة :

ـ رُوَيْدَكِ يا عزيزتى (سونيا) .. الأمر لا يستدعى كل هذا القلق .

غمغمت فى توتُّر :

ـ خطأ يا (بلوميه) .. لا تجعل هذا الهدوء الشديد يخدعك .. إن (أدهم صبرى) يشبه إعصار (تورنادو) الشهير ، كلما كان المناخ شديد الهدوء قبله ، كان هذا مؤشرًا ينبئ بدمار رهيب ، يخلفه بعده .

عقد حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـ يبدو أنك تخشين هذا الرجل تمامًا يا عزيزتى (سونيا) .

تنهَّدت فى عمق ، وأومأت برأسها ، مغمغمة :

ـ هذا صحيح .

سألها فى دهشة :

ـ لماذا ؟.. لماذا تخشيْنه إلى هذا الحد ؟

لوَّحت بكفها ، وهى تقول :

ـ لأنه شخص عجيب .. يستحيل أن تستنتج خطواته التالية .. عندما تتصوَّر أنه من المحتم أن يأتى من الباب ، تجده ينقضُّ عليك من النافذة ، وعندما تتصوَّر العكس ، يفعل هو العكس أيضًا ..

ابتسم ، وهو يقول فى سُخرية :

ـ أمر بسيط .. علينا أن نستنتج خطواته التالية ، ثم نفعل عكسها .

ابتسمت فى مرارة ، وهى تغمغم :

ـ أتجد الأمر بهذه البساطة ؟

هتف :

ـ إنه كذلك بالفعل .

التفتت إليه ، وهى تسأله :

ـ كيف تتصوَّر أنه سيهاجمك إذن ؟

ابتسم فى ثقة ، وتراجع فى مقعده ، وهو يلوِّح بكفه ، قائلًا :

ـ إننى أفكِّر بطريقة مختلفة يا عزيزتى (سونيا) .. إننى

أوفّر على نفسى مشقة الاستنتاج .. لقد قمت بتحصين كل مداخل النادى .

غمغمت فى سُخرية :

ــ أتقصد مثلما فعل (فنتورا) ؟

عقد حاجبيه ، هاتفًا :

ــ كلّا .. ليس مثله .

ثم استطرد ، بعد وهلة من الصمت :

ــ النادى لا يحوى سوى ثلاثة مداخل ، يمكن التسلُّل عَبْرها .. القبو ، والباب الخلفى ، والسطح .. ولقد وضعت عند كل منها فرقة مسلَّحة كاملة ، وأمرتها بإطلاق النار على أى مخلوق يحاول التسلُّل ، حتى ولو كان واحدًا منهم ، كما أمرتهم بألا يغادر أحدهم مكانه قطُّ ، مهما كانت الأسباب ، ولقد أضفت إلى ذلك كلمة سرّ خاصّة ، وخاتمًا يوضع على كتف كل من رجالى .

ابتسم فى ثقة وزهو ، وهو يردف :

ــ أرأيت أنه من المستحيل أن يتسلَّل شيطانك إلى هنا ؟

ولم يكد يتمّ عبارته ، حتى اندفع (بيير) إلى مكتبه ، وبدا شديد الشُحُوب ، وهو يهتف فى انفعال :

ــ مسيو (بلومبه) .. لقد وصل (أدهم صبرى) .. إنه الآن داخل النادى .

حدّق (بلومبه) فى وجهه بدهشة ، وتألّقت عينا (سونيا) فى انفعال ، قبل أن يَهُبّ (بلومبه) من مقعده ، ويهتف فى ذُهُول :

ــ كيف ؟.. كيف نجح فى التسلُّل إلى هنا ؟

هتف (بيير) فى ذُعْر :

ــ إنه لم يفعل يا سيِّدى .. لم يتسلَّل .. لقد دخل إلى النادى من مدخله الرئيسىّ ، مثلما يفعل كل الروّاد ، ولقد منح حارس البوابة بقشيشًا أيضًا .

سقط (بلومبه) فوق مقعده ، وهو يغمغم فى ذُهُول :

ــ بقشيشًا ؟!

وهتفت (سونيا) :

ــ ألم أقل لك ؟.. إن (أدهم) لا يفعل أبدًا ما تتوقّعه .. أبدًا .

عقد حاجبيه فى غضب ، وعاد يَهُبّ من خلف مكتبه ، هاتفًا فى مزيج من الثورة والصرامة :

ــ فليكن .. الدخول إلى الجحيم ليس مشكلة .. المشكلة هى الخروج منها على قيد الحياة .

ثم التفت إلى (سونيا) ، مستطردًا فى حنق :

ـــ وأنا أعدك يا (سونيا) .. اعدك أنه لن يخرج من هنا حيًا .. هو أو شقيقه .. لن يغادروا النادى على قيد الحياة .

وألقى كأسه فى ركن المكتب ، فتهشمت فى دوىٍ عنيف ، وهو يهتف :

ـــ أبدًا ..

* * *

كان (أدهم) يبدو شديد التألق ، فى حُلته السوداء ، ورباط عنقه الأسود الصغير ، وقميصه الناصع البياض ، وشعره المصفَّف فى عناية بالغة ..

ولقد بدا مظهره ، وهو يتجوّل بين موائد القمار فى هدوء ، وابتسامة هادئة تملأ وجهه ، كشاب من الأثرياء العابثين ، جاء يقضى ليلة لاهية فى لعب وعبث ..

وكانت عيون رجال (بلوميه) تتابعه فى تحفُّز وتوتُّر ، وأيديهم تستند إلى مقابض تلك المسدسات ، المخفاة أسفل ستراتهم ..

ومن بعيد ، ضاقت حدقتا (بلوميه) ، وهو يتطلَّع إلى (أدهم) ، مغمغمًا فى توتُّر بالغ :

ـــ لماذا جاء على هذا النحو السافر ؟.. ما الذى يسعى إليه بالضبط ؟

غمغمت (سونيا) فى عصبيَّة :

ـــ هكذا (أدهم صبرى) دوْمًا .. من المستحيل استنتاج خطوته التالية .

ثم ألقت سيجارتها أرضًا ، واتجهت نحو (أدهم) ، فجاذبها (بلوميه) من كتفها ، هاتفًا فى توتُّر :

ـــ إلى أين ؟

أزاحت يده عن كتفها فى حِدَّة ، وقالت فى صرامة :

ـــ دع عنك هذا الأمر يا (بلوميه) .. إننى أفهم (أدهم صبرى) ، وأعلم كيف أتعامل معه جيِّدًا .

لم يحاول منعها ، وتركها تتجه إلى (أدهم) ، الذى التفت إليها فى هدوء ، وابتسم وهو يهتف فى مرح :

ـــ عزيزتى (سونيا) ؟!. يا لها من مصادفة جيِّدة !. . إنه لمن الجميل أن يلتقى المرء بفاتنة مثلك ، فى ليلة دافئة كهذه .

عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى توتُّر :

ـــ لا داعى لذلك الأسلوب السخيف يا (أدهم) .. إننى أعلم لماذا أنت هنا .



لم يحاول منعها ، وتركها تتجه إلى (أدهم) ، الذى التفت إليها فى هدوء ، وابتسم وهو يهتف فى مرح : — عزيزتى (سونيا) ؟!..

ابتسم ، قائلًا فى برود :

— رائع .. أنا أيضًا أعلم لماذا أنت هنا .. ما رأيك لو أننا قد تصافينا ، وحصل كلٌّ منّا على ما يريده ؟

هتفت فى عصبيّة :

— لست أظنّك تقبل ذلك ، فما أريده هو حياتك .

أطلق ضحكة ساخرة ، وقال :

— ليس هذا هو المقابل الذى أعنيه يا (سونيا) .

ثم مال نحوها ، مستطردًا :

— إننى أريد أخى ، سليمًا معافًى ، ومقابل ذلك سأترك لذلك الوغد (بلومبه) ناديه سليمًا ، وسأتغاضى عن الانتقام لزميلى (سمير) .. ما رأيك ؟

هتفت فى حَنَق :

— إننى أرفض .

جاء قولها مرتفعًا ، حتى أن كل من حولها قد التفتوا إليها ، فخفضت صوتها ، وغمغمت فى حِدَّة :

— أتعلم أن كل رجال (بلومبه) حولك ، ينتظرون إشارتى ، ليطلقوا عليك النار من كل صوْب ؟

هزّ كتفيه فى استهتار ، وهو يقول :

— أعلم ذلك .

ثم مال نحوها ، مستطردًا فى سُخرية :

— وأعلم أيضًا أن (بلوميه) لن يخاطر بتحطيم سمعة ناديه ، وأنه سيلجأ إلى التفاوض حتى آخر رمق ، مادمت داخل النادى ، وبين روّاده .

عقدت حاجبيها فى شِدّة ، وهى تقول فى سُخط :

— هذا ما تظنه .

ثم استدارت فى حِدّة ، واتجهت نحو (بلوميه) ، وأشعلت سيجارتها فى عصبيّة ، وهى تنتفض غضبًا ، و (بلوميه) يسألها فى لهفة وتوتّر :

— ماذا قال ؟

أجابته فى حِدّة :

— لقد قدّم لى عرضًا سخيفًا .

سألها فى حِدّة :

— أىّ عرض هذا ؟

هتفت ساخطة :

— قال إنه يريد أخاه ، وإلا حطّم النادى على رءوس الجميع .

صاح فى غضب :

— ماذا ؟.. ياله من مغرور !

ثم أشار إلى (بيير) ، واستطرد فى حِدّة :

— اسمعنى جيّدًا .. اذهب إلى ذلك المغرور ، واغرس مسدّسك فى ظهره ، وأجبره على أن يمضى معك إلى حجرة مكتبى ، وهناك سنتخلّص منه دون ضجيج .

عقدت (سونيا) حاجبيها ، ونفثت دُخان سيجارتها فى قوّة ، وهى تغمغم :

— هكذا ؟!

راقبت (بيير) ، وهو يتجه نحو (أدهم) ، واستطردت فى عصبيّة :

— يبدو أن هذا هو آخر أيّام ناديك يا (بلوميه) .

ثم انسحبت فى هدوء ، وأشارت إلى (شارل) أن يتبعها ، واتجه الاثنان فى خطوات سريعة إلى قبو الخمور ، على حين بلغ (بيير) موضع (أدهم) ، وأخرج مسدّسه من جيبه ، وألصق فوّهته بظهر (أدهم) ، وهو يقول فى شراسة :

— لا تقاوم ، واتجه أمامى إلى مكتب الزعيم .

تألّقت عينا (أدهم) ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

ـــ رائع .. كنت أنتظر هذه المبادرة بالذات .

وفى حركة بالغة السرعة ، وبمرونة ورشاقة لا مثيل لهما ، دار (أدهم) على عقبيه ، وطوّح بمسدس (بيير) بضربة مُحكمة ، ثم هوى على فك هذا الأخير بلكمة كالقنبلة ..

وبدأ الصّراع الرّهيب .. فى نادى القتلة ..

* * *



٩ ـــ الدّماء ..

تطلّع الدكتور (أحمد) فى دهشة ، إلى ذلك الزائر العجيب ، الذى صحب (سونيا) هذه المرّة ، وابتسم فى إرهاق ، وهو يغمغم فى تهالك :

ـــ أتخشيْن زيارتى وحدك يا (سونيا) ؟

ابتسم (شارل) فى هدوء ، وانحنى أمامه على نحو استعراضىّ ، قائلًا :

ـــ أقدّمُ لك نفسى .. (شارل رونيه) ، مندوب منظمة (سكوربيون) فى (فرنسا) .

غمغم (أحمد) :

ـــ (سكوربيون) ؟!.. أتقصد تلك المنظمة الإجرامية ؟

ابتسم (شارل) فى سُخرية ، وكأنما اعتاد ذلك الأسلوب ، واتجه إلى حيث اصطفّت زجاجات النبيذ ، فالتقط منها زجاجة ، وقرأ التاريخ المدوّن عليها ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ كلّا .. إننى أقصد منظمة الجاسوسية العالمية الخاصة ، التى تتعامل مع مخابرات تسع دول على الأقل .

غمغم (أحمد) فى هدوء :
ــ ليس من بينها (مصر) بالتأكيد .
انتزع (شارل) سدادة زجاجة الشمبانيا ، وهو يقول :
ــ بالطبع .
وراح يراقب فوَرَان النبيذ ، وفقّاعات السائل الذهبىّ ، على حين قال (أحمد) فى اهتمام :
ــ هل لى أن أفهم سِرّ هذه الزيارة ؟
ارتشف (شارل) رشفة من النبيذ ، وهو يقول :
ــ رائع هو نبيذ (بوربون) هذا ، وخاصّة ذلك الذى يعود إلى عام ألف وتسعمائة وثلاثة ، و .....
قاطعه (أحمد) :
ــ أتحاول التهرُّب من سؤالى ؟
أجابته (سونيا) فى حدّة :
ــ كلّا يا دكتور (أحمد) .. سأخبرك أنا لماذا .. إنك ورقتنا الأخيرة .. آخر درع يضمن لنا التفوّق ، فى صراعنا مع شقيقك بعد أن يحطّم (بلوميه) ورجاله .
اعتدل (أحمد) ، وتجاهل ساقه المحطّمة ، وهو يهتف :
ــ هل وصل إلى هنا ؟

أشارت (سونيا) إلى أعلى ، وهى تقول :
ــ نعم .. إنه هناك .
ثم نفثت دُخان سيجارتها فى عصبيّة ، مستطردة :
ــ ولقد أحال النادى إلى جحيم ..

* * *

هَوَت لكمة (أدهم) على فكّ (بيير) كالقنبلة ، وألقته إلى الوراء ، قرابة الأمتار الثلاثة ، حيث سقط فوق مائدة (الروليت) ، وأطار فيشاتها فى عُنف ..
وهنا انتزع كل رجال (بلوميه) مسدّساتهم ، وانطلقت صرخات كل روّاد النادى فى رُعب وفزَع ..
وقفز (أدهم) إلى الأمام ، ودفع مائدة (روليت) أخرى بقدميه ، فى وجوه عدد من رجال (بلوميه) ، ثم دار على عقبَيْه ، وحطّم فكّ رجل ، وهشّم أنف ثانٍ ، وَكسَر أسنان ثالث ..
وساد الهرج والمرج ، وراح الجميع يتدافعون فى كل صَوْب ، على حين بقى (أدهم) هادئًا ، وأخرج من جيبه منظارًا داكنًا ، أخفى به عينيه ، ثم انتزع سترته ، قائلًا فى سُخرية :

ـ والآن ، فليبدأ حفل (أدهم صبرى) الخاص .

وبأقصى قوّة ، ألقى الأزرار أرضًا ، فانفجرت بدوي شديد ، وانبعثت منها أضواء قويّة ، أعشت بصر الجميع ..

كانت قنابل فوسفوريّة ..

وكانت أوّل مرّة تقريبًا ، يلجأ فيها (أدهم) إلى مبتكرات الإدارة ..

وأصيب رجال (بلوميه) بالفزع ، عندما فقدوا أبصارهم ، وراحوا يطلقون النار عشوائيًا فى ذُعْر ، على حين أخرج (أدهم) مسدّسه فى هدوء ، وراح يطلق نيرانه عليهم ، وهو يتجه نحو مكتب (بلوميه) ، فى خطوات شديدة الهدوء ..

وكانت رصاصاته تصيب هدفها فى دقّة بالغة ، على الرغم من البساطة الشديدة ، التى يُطلقها بها ..

كل رصاصة أصابت هدفها بمنتهى الدقّة ..

كل رصاصة هشّمت كفّ واحد من رجال (بلوميه) ..

كل رصاصة أزاحت شيطانًا من عالَم الجريمة ..

وعندما توقّف (أدهم) عن إطلاق النار ، كان قد حطّم أكُفّ كل رجل من رجال (بلوميه) ، الذين راحوا يتأوّهون ،

ويعْوون كالكلاب الجريحة ، على حين اتجه هو نحو مكتب (بلوميه) ، وحطّم رتاجه برصاصة واحدة ، ثم قفز جانبًا ، متفاديًا رصاصات (بلوميه) و (ميشيل) ، وأطلق من مسدّسه رصاصتين ، أطاحتا بمسدّسيهما ، ثم وقف أمام الرجلين فى هدوء ، ونزع خزانة مسدّسه الفارغة ، وألقاها جانبًا ، ثم وضع مكانها خزانة أخرى ممتلئة ، على حين تراجع (ميشيل) فى ذُعْر ، وراح (بلوميه) يرتجف كقِطٍّ مُبتل ، فى ليلة قارصة البرودة ، وهو يهتف فى انهيار :

ـ الرحمة يا مسيو (أدهم) !! الرحمة !! لا تقتلنى .. أرجوك .

قال (أدهم) فى برود :

ـ أيّة رحمة تطالب بها يا (بلوميه) ؟.. ألست أنت الذى أمر باختطاف شقيقى ؟.. ألست المسئول عن مصرع زميلى ؟

انهار (بلوميه) جاثيًا على ركبتيه ، وراح يبكى فى حرارة ، ويهتف :

ـ سأصلح كل ذلك .. سأدفع ثمن كل ما حدث يا مسيو (أدهم) .

قال (أدهم) فى صرامة :

— هناك أشياء لا ثمن لها أيها الوغد .

هتف (بلوُميه) باكيًا :

— سأدفع مليونًا يا مسيو (أدهم) .. بل مليونين ..

استقبله نظرات (أدهم) الباردة الصارمة ، واستقبله صمته المخيف ، فهتف :

— ثلاثة ملايين .. أربعة .

ولمّا لم يجد جوابًا ، انهار هاتفًا :

— خذ ثروتي كلها .. خذها وارحمني .

ومرّة أخرى لم ينطق (أدهم) بشيء ، بل ظلّ صامتًا ، باردًا ، صارمًا ..

وفجأة ، هتف (ميشيل) ، وقد فقد السيطرة على أعصابه :

— اللعنة !!

ثم انتزع مسدّسه من جيب سترته ، وأطلق النار على (أدهم) ..

وتفادى (أدهم) الرصاصة بانحناءة رشيقة ، ثم أطلق رصاصة على كفّ (ميشيل) ، فحطّمها تمامًا ، وراح هذا الأخير يصرخ :

— اللعنة !! اللعنة !! لقد تحطّمت يدي .

أما (بلوميه) ، فقد وجد المسدّس أمامه ، عندما سقط من يد (ميشيل) ، فقفز يلتقطه ، وهو يصرخ :

— مُتْ أيها الشيطان المصري .. مُتْ .. مُتْ .. مُتْ .

وطاشت كل رصاصاته بسبب فزعه ، وبفضل قفزة (أدهم) المذهلة ..

ثم انطلقت رصاصة من مسدّس (أدهم) ..

انطلقت لتستقر في كتف (بلوميه) ، وتلقيه إلى الخلف ، و (أدهم) يقول في غضب :

— هذه من أجل اختطاف (أحمد) .

ثم أطلق رصاصة ثانية ، حطّمت كفّ (بلوميه) اليُسْرى ، وثالثة حطّمت كفه اليُمنى ، وهو يستطرد :

— وهذه من أجل (سمير) .

صرخ (بلوميه) ألمًا ، وراح يُوَلْوِلُ كالنادبات ، وهو يهتف :

— أيها الشيطان !! أيها القاتل !!

انتزع (ميشيل) من جيبه فجأة قنبلة يدويّة ، وهو يهتف :

— سأقتلك أيها الشيطان ، سأقتلك ولو كان هذا آخر ما أفعله في حياتي .

رفع القنبلة بيده اليسرى إلى فمه ، حيث انتزع صمام أمانها ، وهو يستطرد :

ــ اذهب إلى الجحيم .

ولكن رصاصة (أدهم) حطمت كفه اليمنى ، فسقطت القنبلة عند قدميه ، وصرخ (بلوميه) فى رُعب :

ــ القنبلة .. إنها ستنفجر ..

قفز (أدهم) خارج الحجرة ، وابتعد فى سرعة ، على حين دوّى الانفجار من خلفه قويًا ..

لقد انتهى آخر عمالقة (مارسيليا) ..

انتهى إلى الأبد ..

* * *



١٠ ـــ الخطوة الأخيرة ..

ارتجف جسد (سونيا) فى قوة ، عندما تناهى إلى مسامعها دوىّ الانفجار ، وهتفت فى صوت مرتجف :

ــ لقد تخلّص (أدهم) من (بلوميه) .

سألها (شارل) فى توتُّر :

ــ كيف عرفت ؟

أجابته ، وهى تشير إلى أعلى :

ــ لقد كان الانفجار فوقنا تمامًا ، فى مكتب (بلوميه) .

هتف (شارل) :

ــ هذا عظيم :

التفتت إليه فى حِدّة ، وهى تقول :

ــ ماذا تعنى ؟

أطلق ضحكة عصبيّة ، وهو يقول :

ــ أعنى أن نستحق وحدنا الملايين الخمسة الأخرى .

حدّقت فى وجهه فى استنكار ، وهى تهتف :

ــ أهذا هو كل ماتفكّر فيه ؟

صاح في مزيج غضبي :
— بالطبع .. إنها ليست مليونًا .. إنها خمسة ملايين ..
سيصير بوسعنا أن نعتزل ، ونحيا حياة أصحاب الملايين .
صرخت في ثورة :
— أيها الغبي .. لقد كان هذا بوسعي منذ عامين ، ولكنني
أسعى خلف هدف آخر .. خلف قتل ذلك الشيطان .
هزّ كتفيه ، قائلًا :
— وما الذي يمنع من مزج الهدفين معًا ؟.. سنقتل (أدهم)
هذا ، ونحصل على المال .
ابتسم (أحمد) في سُخرية ، وهو يقول :
— عجبًا !!.. إنك تجعل الأمر يبدو بالغ البساطة .
أجابه في تحدٍّ :
— إنه كذلك بالفعل ، ما دمنا نحتفظ بك .
انعقد حاجبا الدكتور (أحمد) في صرامة ، وهو يقول :
— لن أكون أبدًا عقبة في سبيل أخي .
جذبه (شارل) من رأسه في عنف ، وهو يقول في شراسة :
— ولست تملك أن تقوم بالعكس .
تخلّى عن رأسه في حركة حادة ، حينما دوّى صوت

رصاصة ، أصابت رتاج باب القبو ، وغمغمت (سونيا) في
توتر بالغ :
— لا داعي للحديث عن النظريات .. لقد حان وقت
الاختبار العملي .
وارتجف صوتها ، وهي تستطرد :
— لقد وصل (أدهم صبري) .
انتفض جسده في قوة ، وراح يحدق في رُعب ، في
(أدهم) ، الذي راح يتقدّم نحوهم في هدوء ، وذراعه
الممسكة بالمسدس متراخية إلى جواره ، فأشارت (سونيا) إلى
(شارل) ، الذي قفز يحيط عنق الدكتور (أحمد) بذراعه ،
وألصق فوّهة مسدسه بجبينه ، على حين هتفت (سونيا) في
توتر :
— قف يا (أدهم صبري) .. قف ، وإلا دفع شقيقك
الثمن .
توقف (أدهم) في هدوء ، ونقل بصره ما بين (شارل) ،
الذي راح يرتجف على نحو ملحوظ ، على الرغم من أنه —
نظريًا — في المركز الأقوى ، و(سونيا) ، التي تنفث دُخان
سيجارتها في عصبية بالغة ، وشقيقه ، الذي بدا رثّ الهيئة ،
شديد الإعياء ، ثم قال في برود :

ــ ثمن ماذا يا (سونيا) ؟

هتفت في حِدَّة :

ــ ثمن .. ثمن .....

ترددت لحظة ، وكأنما تبحث عن مبرِّر ، قبل أن تهتف :

ــ ثمن إقدامك على مهاجمتنا .

ابتسم في سُخرية ، وهو يقول :

ــ مهاجمتكم .. لماذا تستخدمين صيغة الجمع ؟.. أتعتبرين أنك وأولئك العمالقة الثلاثة فريقًا واحدًا ؟ أم أنك تحاولين تفخيم نفسك ، أنت وذلك الحقير هناك ؟

هتف (شارل) في حِدَّة :

ــ حَذارِ أن تتفوَّه بكلمة خاطئة ، وإلَّا قتلت شقيقك برصاصة واحدة .

ابتسم (أدهم) في سُخرية ، وهو يلتفت إليه ، قائلًا :

ــ هكذا ؟!.. يا لك من صِنْديد !! إنك تستحق حقًا أن تلقى مصرعك في هذا القبو الحقير .

صاح (أحمد) في صرامة :

ــ لا تجعل منّي نقطة ضعف لك يا (أدهم) ، وإلَّا فلن أسامح نفسي أبدًا .

ابتسم (أدهم) في هدوء ، وهو يقول :

ــ اطمئن يا أخي العزيز .. لن أفعل .

شحب وجه (شارل) في شِدَّة ، على حين هتفت (سونيا) في عصبيَّة :

ــ ما قولك ؟

أجابها في هدوء :

ــ قَوْلي ؟!

ثم رفع مسدسه ، يصوِّبه إلى رأس (شارل) ، قائلًا في صرامة :

ــ أريد أخي .

امتقع وجه (سونيا) في خوف ..

لم تدر لماذا كانت تشعر برهبة شديدة من (أدهم) هذه المرَّة ؟..

لماذا تخاف صوته وكلماته ؟..

أأصبحت أضعف من أن تُواجهه ؟..

هل اعتادت العيش الرغد ، حتى أنها لم تعُد تلك المقاتلة الشَّرسة ، التي كانتها من قبل ؟..

أم أنها حقًّا تحبُّه ؟!..

أزعجها ذلك الخاطر ، الذى طالما راودها فى خلواتها ، فأسرعت تنفضه بعيدًا ، وهى تقول فى حدّة :

ـ مستحيل !.

أجابها (أدهم) فى سخرية :

ـ ما هو المستحيل يا (سونيا) ؟

هتفت فى عناد :

ـ أن تستعيد شقيقك .

أمّا (شارل) ، فقد هتف فى عصبيّة :

ـ لن أقبل أيّة مساومات .. إما حياتك أو حياة شقيقك .. ماذا تختار ؟

أطلّ غضب صارم من عينى (أدهم) ، وهو يقول :

ـ إنك لم تترك لى الخيار .

وفى هدوء شديد ، اعتصر (أدهم) زناد مسدسه ..

وانطلقت رصاصة ..

وارتطم دفق من الدم بوجه الدكتور (أحمد) ..

وتراجعت (سونيا) فى رُعب ، وقد انهار كل عنادها ..

وجحظت عينا (شارل) ، وسقط مسدسه ، وتلوّث وجهه كله ببقعة دم كبيرة ..

وسقط جثة هامدة ..

* * *

اتجه (أدهم) فى هدوء إلى شقيقه ، وأزاح جثة (شارل) بعيدًا ، ثم سأل شقيقه ، الذى يمسح الدم عن وجهه فى توتّر :

ـ أأنت بخير ؟

غمغم (أحمد) :

ـ جسديًا نعم .. أمّا نفسيًا ومعنويًا ، فلست أدرى .

ربّت (أدهم) على كتفه ، مغمغمًا :

ـ إنها ضريبة كوْنك شقيقى .

سأله فى دهشة :

ـ ولكن ساقك .. كيف عادت إلى طبيعتها ؟

ابتسم ، وهو يقول :

ـ إنها قصة طويلة ، سأقصّها عليك فى (القاهرة) .

هتف فى لهفة :

ـ (القاهرة) ؟!

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا فى هدوء ، وقال :

ـ نعم .. (القاهرة) .. هناك طائرة خاصّة ، تنتظرنا خارج المدينة ، وستقلع بنا على الفور إلى (القاهرة) .

التفت (أحمد) إلى (سونيا) ، التى بدت منهارة تمامًا ، ومصابة بصدمة نفسيّة ، وغمغم :

ــ وماذا عن هذه ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يهزّ كتفيه فى هدوء :

ــ دعك منها .

ثم حمله ، وهو يستطرد :

ــ إنها لم تعُد تلك الأفعى ، التى عرفتها سابقًا .

أدارت (سونيا) عينيها إليه فى انهيار ، ثم انخرطت فى بكاء حار ، وهى تغمغم فى مرارة :

ــ نعم .. إننى لم أعُد كذلك .

تجاهلها (أدهم) تمامًا ، وحمل شقيقه إلى الخارج ، وتطلّع (أحمد) إلى الخراب الشديد ، الذى ساد المكان ، وهتف فى دهشة :

ــ كيف لم يصل شرطى واحد إلى هنا ، على الرغم من كل هذا ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يتجاوز معه باب النادى ، ويضعه داخل سيّارة خاصّة :

ــ لقد كافح هؤلاء الأوغاد طويلًا ، ليجعلوا هذه المدينة بلا قانون .. وها هم أولاء يدفعون ثمن ذلك الآن .

ثم احتلّ مقعد القيادة ، وانطلق بالسيّارة ، مبتسمًا ، قائلًا :

ــ فلنُلقِ كل ذلك خلف ظهورنا يا أخى العزيز .. المهم أننا قد التقينا مرّة أخرى ، وسنعود معًا إلى حيث الأمن والأمان ..

واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

ــ إلى (مصر) ..

* * *



١١ ـ الختام ..

تأوهت (منى) فى ألم ، ثم هتفت فى إعياء :

ـ كفى يا (جوزى) .. كفى .. لم أعد أحتمل .

ابتسمت العجوز الفرنسية فى حنان ، وغمغمت :

ـ فليكن يا بنيّتى .. سنكتفى بهذا القدر اليوم .

ربّت (أدهم) على كتف العجوز ، وقال مبتسمًا :

ـ ما دمت ترين ذلك يا (جوزى) ، فأنت على حق .

ضحكت (منى) ، وهى تقول :

ـ ولكن أسلوب علاجك مرهق للغاية يا (جوزى) .

ابتسمت العجوز ، وهى تقول :

ـ ولكنه فعّال .

ضحك (أدهم) ، قائلًا :

ـ من هذه الناحية ، أنت على حق تمامًا .

ثم أشار إلى (منى) ، التى تقف مستندة إلى عكازين خشبيين ، وقال :

ـ إنها لم تكن تفعل ، منذ أسبوع واحد .

هتفت العجوز فى حرارة :

ـ إنها ستُعافى تمامًا ، بعد شهر على الأكثر .

غمغم الدكتور (أحمد) ، وهو يفرد أمامه ساقه المكسورة :

ـ إنها معجزة بحق .. إنك تحطّمين كل القواعد الطبيّة ، التى يدرسونها فى كليات الطب .

ابتسمت ، قائلة فى حماس :

ـ إنه الطبّ الطبيعىّ .. إنه أعظم مائة مرّة من تلك الكيماويات ، التى أفسدت أجسادكم ، فى نصف القرن الأخير .

هتف (أحمد) ضاحكًا :

ـ صدقت .

ثم سألها فى اهتمام :

ـ أخبرينى .. أسمك الحقيقى هو (جوزى) ؟

ضحكت قائلة :

ـ إنه يبدو اسمًا شابًا ، يتعارض مع مظهرى .. أليس كذلك ؟

غمغم فى خجل :

— لم أقصد ذلك .
ضحكت وهى تقول فى مرح :
— ولكنه حقيقى .
شاركها الجميع ضحكتها ، قبل أن تتوقف بغتة ، وتقول فى هدوء :
— ولكننى كنت يومًا شابة جميلة ، وحينذاك كان الاسم يبدو لائقًا .
بدا من الواضح أنها تسترجع ذكرى حزينة ، وهى تستطرد :
— اسمى الحقيقى هو (جوزفين) ، مثل اسم أرملة (نابوليون بونابرت) .. ولقد كان زوجى أيضًا يُدعى (نابوليون) .
ترقرقت دمعة حزينة فى عينيها ، وهى تردف :
— كنا زوجين محبَّين .. يذوب كل منا فى حبِّ الآخر ، لولا أن .....
خدعتها تلك الدمعة ، وانحدرت على وجنتها ، وهى تتابع :
— لولا أنه كان جريئًا ، يأبى إلا أن يقاتل فى سبيل الحق والعدل .

مسحت دمعتها ، واعتدلت فى اعتداد ، ثم واصلت :
— كان ذلك فى الثلاثينات ، أيام عصابات (مارسيليا) القديمة .. لقد تصدَّى لهم ، مثلما فعلت أنت اليوم ، ولكن مصيره كان يختلف عن مصيرك ، فقد .. فقد قتلوه .
غمغم (أدهم) فى أسف :
— يا للمسكين !!
هتفت فى حماس :
— بل قُل يا لَلبطل !! لقد كان صاحب الصوت الوحيد ، الذى ارتفع بالحق ، فى وقت ساد فيه الظلم .. الصوت الوحيد العادل ، طوال نصف قرن .. نعم .. لقد جاء الاحتلال النازى ، وبعده عصابات (مارسيليا) الجديدة .. ولم تشهد (مارسيليا) عهدًا حرًّا حقيقيًّا .
وانحدرت من عينيها دمعة أخرى ، وهى تتطلَّع إلى (أدهم) فى امتنان ، مستطردة :
— سوى فى عهدك أنت أيها البطل .
غمغم (أدهم) :
— المهم أن هذا قد أسعدك يا (جوزى) .
ضحكت فى مرح ، وهى تمسح دمعتها ، وتربِّت على كتف (منى) ، هاتفة :

ـــ هيّا أيتها الشابة ، تعاونى معى ؛ ليتم شفاؤك سريعًا ، فلقد اشتقت إلى العودة إلى منزلى ، فى (مارسيليا) .

هتف (أدهم) :

ـــ لماذا يا (جوزى) ؟.. أتشعرين أننا نقصّر فى ضيافتك هنا ؟

هتفت فى حماس :

ـــ على العكس .. إنكم بالغو الكرم هنا فى (مصر) .

ثم أطلّت من عينيها نظرة عاطفية ، وهى تستطرد :

ـــ ولكننى أشتاق لقضاء ما بقى من عمرى فى (مارسيليا) الحرّة ، التى عشت أحلُم بها نصف قرن .. (مارسليا) التى تحرّرت أخيرًا من عمالقة الإجرام .. (مارسيليا) دون عمالقة .. دون (عمالقة مارسيليا) ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩

عمالقة مارسيليا

- هل يعود (أدهم) إلى (مارسيليا) ، بعد اختطاف أخيه ، ومقتل زميله ؟
- كيف يقاتل رجل عاجز عصابات (مارسيليا) كلها وحده ؟
- ترى لمن يكون النصر ؟.. لـ (أدهم صبري) ، أم لـ (عمالقة مارسيليا) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) ..



العدد القادم : صحراء الدم

المؤلف



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٧٧



الثمن في مصر
ـــــــ

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم